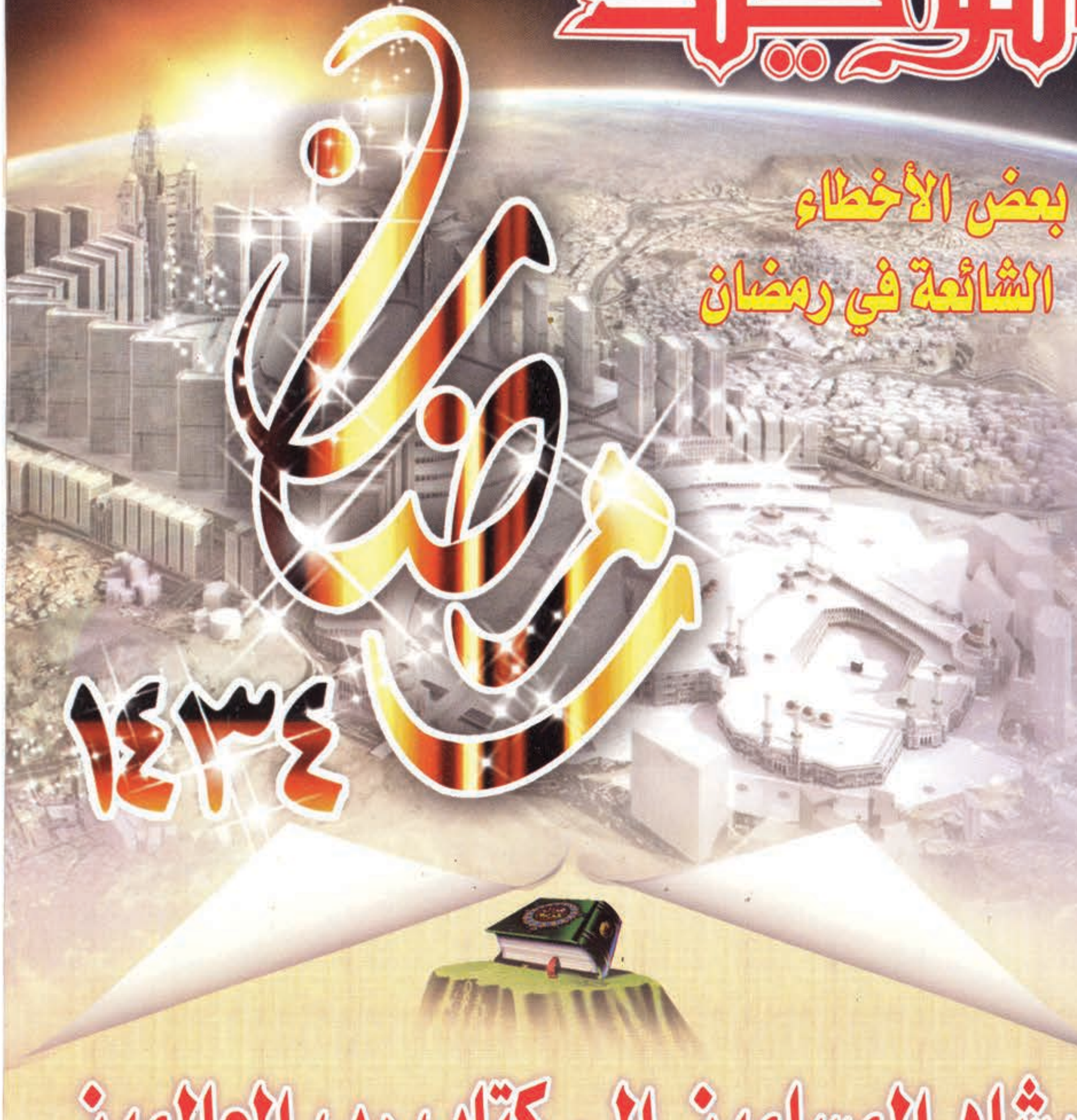
شهر رمضان وأمة قد اعتراها الهوان !!

التوحيد

مجلة • إسلامية • ثقافية • شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية العدد ٥٠١ - السنة الثانية والأربعون - رمضان ١٤٣٤ هـ
الثمن جنيهان

روضة التائبين



بعض الأخطاء الشائعة في رمضان

إرشاد المسلمين إلى كتاب رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

صاحبة الامتياز

جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس مجلس الإدارة

د.عبد الله شاكر الجنيدي

المشرف العام

د. عبد العظيم بدوي

اللجنة العلمية

جمال عبد الرحمن

معاوية محمد هيكل

التحرير

٨ شارع قولة عابدين. القاهرة

ت:٢٣٩٣٦٥١٧ . فاكس :٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني

MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير:

GSHATEM@HOTMAIL.COM

قسم التوزيع والاشتراكات

ت:٢٣٩٣٦٥١٧

ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

المركز العام:

هاتف :٢٣٩١٥٥٧٦-٢٣٩١٠٤٥٦

WWW.ANSARALSONNA.COM

بشرى سارة

تعلن إدارة المجلة عن رغبتها في تفعيل التواصل بينها وبين القراء في كل ما يتعلق بالأمور الشرعية لعرضها على لجنة الفتوى ونشرها بالمجلة على البريد الإلكتروني التالي : q.tawheed@yahoo.com

السلام عليكم

المخرج من الفتنة

لو سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الواقع الذي تعيشه بقايا أمته من أشاوس آخر الزمان، فالمتوقع والمحتمل أن يقول: قد أخبرتكم بمثل هذا الواقع مرارًا، لكنكم قليلاً ما تذكرون.

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إِنَّ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ لَهَرْجًا، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْهَرْجُ؟ قَالَ: الْقَتْلُ. فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَقْتُلُ الآنَ فِي الْعَامِ الْوَاحِدِ مِنْ الْمُشْرِكِينَ كَذَا وَكَذَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَيْسَ بِقَتْلِ الْمُشْرِكِينَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، حَتَّى يَقْتُلَ الرَّجُلُ جَارَهُ وَابْنَ عَمِّهِ وَذَا قَرَابَتِهِ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَعَنَا عُقُولُنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا، تُنْزَعُ عُقُولُ أَكْثَرِ ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَيَخْلُفُ لَهُ هَبَاءٌ مِنْ النَّاسِ لا عُقُولَ لَهُمْ، ثُمَّ قَالَ الأَشْعَرِيُّ: وَايْمُ اللَّهِ إِنِّي لأَظُنُّهَا مُدْرِكَتِي وَإِيَّاكُمْ، وَايْمُ اللَّهِ مَا لِي وَلَكُمْ مِنْهَا مَخْرَجٌ إِنْ أَدْرَكَتْنَا فِيمَا عَهِدَ إِلَيْنَا نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلاَّ أَنْ نَخْرُجَ كَمَا دَخَلْنَا فِيهَا. [صحيح سنن ابن ماجه للألباني ٣٩٥٩].

فلا نجد شاهدًا على مثل هذا العصر أصدق من رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أطلعه الله على شيء من الغيب فأخبر الناس به، فكان ما يقع وما نرى دليلاً على نبوته، ونذيرًا لمن فقد عقله من أمته.

التحرير

السنة الثانية والأربعون
العدد ٥٠١ رمضان ١٤٣٤

في هذا العدد



ثمن النسخة

مصر ٢٠٠ قرشاً، السعودية ٦ ريالات، الامارات ٦ درهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الاردن ٥٠٠ فلس، قطر٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا ٢ دولار، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٣٠ جنيهاً بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد. على مكتب بريد عابدين مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون

٢- في الخارج ٢٥ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الاسلامى فرع القاهرة. باسم مجلة التوحيد. أنصار السنة «حساب رقم ١٩١٥٩٠/»

التوزيع الداخلي: مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة المحمدية
مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

افتتاحية العدد

١٤٣٤

إرشاد المسلمين إلى كتاب رب العالمين

بقلم/ الرئيس العام

د/ عبدالله شاكر الجنيدي

www.sonna_banha.com

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا، قيمًا لينذر بأسًا شديدًا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرًا حسنًا، والصلاة والسلام على من أنزل الله عليه الكتاب والحكمة وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعدُ:

فإن القرآن الكريم أعظم معجزة وكتاب نزل من عند رب العالمين، اشتمل على الهدى المبين، وبيَّن الصراط المستقيم، وفيه غنية وكفاية لمن أراد وجهَ الرب الكريم، كما قال تعالى: (أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) [العنكبوت: ٥١]، وهذه الآية جاءت ردًا على المشركين الذين طلبوا آيات من النبي صلى الله عليه وسلم تدل على صدقه، فإن الله جهّلهم وكافة عقولهم، وذكر أن القرآن وحده دليل على صدق النبي صلى الله عليه وسلم، ويوجب التسليم لرسالته، ويغني عن غيره من سائر الآيات، فهو كفاية، بل فوق الكفاية.

قال البقاعي رحمه الله في تفسير الآية: «أولم يكفهم» أي: إن كانوا طالبين للحق غير متعنتين آية بينة مغنية عن كل آية: «أنا أنزلنا» بعظمتنا «عليك الكتاب» أي: الجامع لسعادة الدارين؛ بحيث صار خُلقًا لك غالبًا على حركاتك وسكناتك، «يُتلى عليهم» أي تتجدد متابعة قراءته عليهم شيئًا بعد شيء في كل مكان وكل زمان من كل تالٍ مصدقًا لما في الكتب القديمة نعتك وغيره من الآيات الدالة على صدقك، يُتحدون بكل شيء نزل منه مع تحديهم بما قبله من آياته صباح مساء، فأعْظِم به آية باقية! إذ كل آية سواه منقضية ماضية «إن في ذلك» أي: إنزال الكتاب على هذا الوجه البعيد المنال البديع المثال «لرحمة» لهم لصقله صدأ القلوب في كل لحظة وتطهيره خبث النفوس في كل لمحة «وذكرى» عظيمة مستمرًا تذكرها، ولما عم بالقول، خص من حيث النفع فقال: «لقوم يؤمنون» أي: يمكن أن يتجدد لهم إيمان، ليس من همهم التعنت». [نظم الدرر ٥/٥٦٨].

القرآن أعظم آية دالة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم:

وقد دلت آيات أخرى في كتاب الله على معنى هذه الآية، منها قول الله تعالى: (وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ) [طه: ١٣٣]، وقد دلت الآية أن الكفار طلبوا على عادتهم في التعنت آية على النبوة سوى القرآن، وذلك كالعصا والناقة

وغير ذلك، فأعلمهم الله أن القرآن أعظم آية دالة على صدقه؛ لاشتماله على أخبار السابقين وما اشتملت عليهم كتبهم، والذي نزل عليه القرآن أمي لا يقرأ ولا يكتب، ولم يجلس إلى أحد من أصحاب الكتب السابقة، وكفى بهذا معجزة.

يقول القاسمي رحمه الله في هذه الآية: «أو لم يأتهم آية هي أم الآيات وأعظمها، وهي معجزة القرآن المبينة لما في الكتب الأولى من التوراة والإنجيل والزبور. مع أن الآتي بها أمّيٌّ لم يرها ولم يتعلم ممن علمها. فنقّب منها على الصحيح من أنبائها فصدقه، وعلى الباطل المحرف فَفَنَّدَهُ. وفيه إشعار بكفاية التنزيل في الإعجاز والبرهان كما قال تعالى في سورة العنكبوت: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ ۖ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٠ - ٥١]، ولذلك قال أحد حكماء الإسلام: إن الخارق للعادة الذي يعتمد عليه الإسلام في دعوته إلى التصديق برسالة النبيّ صلى الله عليه وسلم هو الخارق الذي تواتر خبره ولم ينقطع أثره. وهو الدليل وحده. وما عداه مما ورد في الأخبار، سواء صح سندها أو اشتهر أو ضعف أو وهي، فليس مما يوجب القطع عند المسلمين. فإذا أورد في مقام الاستدلال، فهو على سبيل التقوية للعقد لمن حصل أصله، وفضل من التأكيد لمن سلمه من أهله. ذلك الخارق المتواتر المعول عليه في الاستدلال لتحصيل اليقين، هو القرآن وحده. والدليل على أنه معجزة خارقة للعادة، تدل على أن موحيه هو الله وحده وليس من اختراع البشر، هو أنه جاء على لسان أميّ لم يتعلم الكتاب ولم يمارس العلوم، وقد نزل على وتيرة واحدة هاديًا للضال مقومًا للمعوج كافلاً بنظام عام لحياة من يهتدي به من الأمم، منقذًا لهم من خسران كانوا فيه. وهلاك كانوا أشرفوا عليه. وهو مع ذلك من بلاغة الأسلوب على ما لم يرتق إليه كلام سواه، حتى لقد دعي الفصحاء والبلغاء، أن يعارضوه بشيء من مثل، فعجزوا ولجأوا إلى المجالدة بالسيوف، وسفك الدماء واضطهاد المؤمنين به، إلى أن ألجأوهم إلى الدفاع عن حقهم، وكان من أمرهم ما كان من انتصار الحق على الباطل وظهور شمس الإسلام». [تفسير القاسمي ١/٤٢٣٨].

كما ورد في السنة النبوية المطهرة ما يدل على أن القرآن الكريم أعظم معجزة أيَّد الله بها النبي الأمين صلى الله عليه وسلم؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة». [البخاري: ٤٩٨١].

لقد دُعِي البلغاء والفصحاء أن يأتوا بشيء من مثل القرآن الكريم فعجزوا وألجأهم عجزهم إلى مواجهته ومجالدته بالسيوف.

وقد دل الحديث على أنه لا بد بكل نبي من معجزة تدفع إلى صدقه والإيمان برسالته، وكانت معجزات الأنبياء السابقين حسية مُشاهَدة، أما النبي صلى الله عليه وسلم، فأيده الله بالحسية والمعنوية، وكانت أعظم الآيات المعنوية، والمراد بها القرآن الكريم.

قال ابن حجر- رحمه الله- في قوله عليه الصلاة والسلام: «إنما الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إليَّ». أي: أن معجزتي التي تحديت بها هي الوحي الذي أُنزل عليَّ، وهو القرآن الكريم؛ لما اشتمل عليه من الإعجاز الواضح، وليس المراد حصر معجزاته فيه، ولا أنه لم يؤت من المعجزات ما أوتي من تقدمه، بل المراد أنه المعجزة العظمى التي اختص بها دون غيره». [فتح الباري ٦/٩].

ولمكانة القرآن وفضله كان الرجاء من النبي صلى الله عليه وسلم أن يكون أتباعه أكثر من

غيره، ولأن معجزات الأنبياء قبله كانت حسية تشاهد بالأبصار، ومعجزة القرآن تشاهد بالبصيرة، والذي يشاهد بعين الرأس ينقرض بانقراض مشاهده، بخلاف الذي يشاهد بعين العقل، فهو يبقى مستمرًا، ولقد نزل القرآن الكريم على قلب نبينا صلى الله عليه وسلم، كما قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٣]. والمعنى: أن جبريل الأمين، صاحب المكانة العالية، نزل بالقرآن من عند الله تعالى على قلب النبي صلى الله عليه وسلم، لينذر به أمته ويدعوهم إلى الله تعالى، وقد نزل القرآن الكريم بلسان العرب الفصيح بيِّنًا واضحًا لا لبس فيه ولا غموض.

رمضان شهر القرآن:

وقد اختص الله شهر رمضان دون غيره من الشهور بإنزال القرآن فيه كما قال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

قال ابن كثير رحمه الله: «يمدح تعالى شهر الصيام من بين سائر الشهور، بأن اختاره من بينها لإنزال القرآن العظيم، وقد ورد الحديث بأنه الشهر الذي كانت الكتب الإلهية تنزل فيه على الأنبياء.

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم، حدثنا عمران أبو العوام، عن قتادة، عن أبي المليح، عن واثلة بن الأسقع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أنزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان». [تفسير ابن كثير ١/٣٠٤، والحديث حسنه الألباني في الصحيحة برقم (١٥٧٥)].

كما بَيَّن الله تبارك وتعالى أن القرآن نزل في أعظم ليلة في هذا الشهر، وهي ليلة القدر، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ١- ٣]، وقد أخبر الله بأن هذه الليلة ليلة مباركة، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣].

مكانة القرآن في رمضان:

احتل القرآن الكريم مكانة عالية رفيعة على الدوام، وفي شهر رمضان خاصة، وذلك بكثرة قراءته وتدبره والقيام به لله تعالى في صلاة التراويح، وقد أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان عليه السلام يلقاه في كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ، يعرض عليه النبي صلى الله عليه وسلم القرآن، فإذا لقيه جبريل عليه السلام كان أجود بالخير من الريح المرسلة». [البخاري: ١٩٠١، ومسلم: ٢٣٠٨].

> كانت معجزات الأنبياء قبل نبينا حسية يؤمن على مثلها البشر، وتنتهي المعجزة بانتهاء وقتها، أما معجزة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فخلدت خلود الدهر لأنها القرآن العظيم.

وقال ابن رجب: «ودل الحديث أيضًا على استحباب مدارسة القرآن في رمضان، والاجتماع على ذلك، وعرض القرآن على مَن هو أحفظ له، وفيه دليل على استحباب الإكثار من تلاوة القرآن في شهر رمضان، وفي حديث فاطمة- رضي الله عنها- عن أبيها صلى الله عليه وسلم أنه أخبرها أن جبريل كان يعارضه القرآن في كل عام مرة، وأنه عارضه في عام وفاته مرتين، وفي حديث ابن عباس أن المدارسة بينه وبين جبريل كان ليلًا، فدل على استحباب الإكثار من التلاوة في رمضان ليلًا، فإن الليل تنقطع فيه الشواغل ويجتمع فيه الهم، ويتواطأ فيه القلب واللسان على التدبر كما

قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل: ٦]. [لطائف المعارف: ٢٤٢].

بيان استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل:

وقد عقد الإمام مسلم في صحيحه بابًا بعنوان: «باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل»، ثم ساق حديثا حذيفة وابن مسعود، وفي الأول يقول حذيفة: «صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها. يقرأ مترسلاً. إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل وإذا مر بتعوذ تعوذ». [مسلم: ٧٧٢].

إقبال السلف على القرآن في رمضان:

وكان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين يحرصون على قراءة القرآن ويقومون به لله في الصلاة، وقد أمر عمر رضي الله عنه أبي بن كعب وتميمًا الداري أن يقوما بالناس في شهر رمضان، فكان القارئ يقرأ بالمائتين في ركعة، حتى كانوا يعتمدون على العصي من طول القيام، وما كانوا ينصرفون إلا عند الفجر، ويظهر من هذا أنهم كانوا يقومون معظم الليل بالقرآن، كما كانوا يجتهدون في قراءة القرآن بالنهار وفي غير رمضان أيضًا.

وكان السلف من أهل العلم يكثرون من تلاوة القرآن في شهر رمضان في الصلاة وغيرها، ويصرفون همتهم إلى مدارسة القرآن وتعليمه وتعلمه، قال ابن رجب: «كان الزهري إذا دخل رمضان قال: فإنما هو تلاوة القرآن وإطعام الطعام». قال ابن عبد الحكم: كان مالك إذا دخل رمضان يفر من قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم، وأقبل على تلاوة القرآن من المصحف.

قال عبد الرزاق: كان سفيان الثوري إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة، وأقبل على قراءة القرآن، ومعناه أنه اهتم بقراءة القرآن وحرص عليه أكثر من نوافل العبادات، وكانت عائشة تقرأ في المصحف أول النهار في شهر رمضان، فإذا طلعت الشمس نامت، وقال سفيان: كان زبيد اليامي إذا حضر رمضان أحضر المصاحف وجمع إليه أصحابه. [لطائف المعارف ٢٤٥].

كان علماء السلف - رحمهم الله - إذا دخل رمضان صرفوا همتهم إلى تلاوة القرآن ومدارسته وتعليمه، وكانوا يقرءون به في الليل حتى إنهم يعتمدون على العِصِيِّ من طول القيام.

يا راغبا في الشفاعة عليك بالقرآن

والصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، كما في مسند أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الصيام والقيام يشفعان للعبد يوم القيامة. يقول الصيام: أي رب، منعته الطعام والشهوات بالنهار، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه، فيشفعان». [والحديث صححه الألباني كما في تمام المنة ص٣٩٤].

منحة من الله فلا تفرطوا فيها

ومن صلى القيام خلف الإمام فعليه ألا ينصرف قبل إمامه لما جاء في الحديث الصحيح عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الرجل إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف حُسب له قيام الليلة». قال الألباني: «والشاهد من هذا الحديث قوله: من قام مع الإمام... فإنه ظاهر الدلالة على فضيلة قيام رمضان مع الإمام». [مختصر قيام الليل ص٩٤].

فيا أهل الإيمان، ويا من فرطتم في الطاعة قبل رمضان، ها هو رمضان أقبل، فعليكم بالطاعة وحسن العبادة.

أسأل الله تعالى أن يتقبل منا الصيام والقيام وصالح الأعمال، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه.

شهر رمضان.. وأمة قد اعتراها الهوان!!

بقلم
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم
GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@HYAHOO.COM

الحمد لله يَمُنُّ على عباده بمواسم الخير أفراحًا، ويدفع عنهم أسباب الردى شرورًا وأتراحًا، وبعدُ:

في نأي عن الحياة النمطية الرتيبة، وتجافٍ عن مألوف الأزمنة القتيبة تُنيخ أمتنا الإسلامية مطاياها بين يدي أيام عظيمة، مبجلة كريمة، بالخيرات جميمة، وبالفضائل عميمة.. قد غمرت الكون بضيائها وعمرت القلوب المعنّاة بحبها في بهائها وسنائها.

شهر جرت بالطاعات أنهاره وتفتقت عن أكمام الخير والبر أزهاره، وتطلع الصائمون القائمون في شوق لنفحاته وأسراره، تفيض أيامه بالقربات والسرور.. وتنير لياليه بالآيات المتلوات والحبور، موسم خلده القرآن، وباركه الرحمن: «شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ» [البقرة: ١٨٥].

وفي مرحلة خطيرة، وأحداث جسام تمرُّ بها الأمة المصرية الآن، أحْسَبُ أنها من أصعب مراحلها في التاريخ، فقد كانت معاركها في الماضي القريب مع أعدائها من غيرنا، أما الآن فقد هان الأخ على أخيه، فاستُبيحت الدماء التي حرّمها الله، وانتُهكت المحرمات، وانتشر القتل والترويع في أنحاء مصر، وقُطعت الطرقات، وانتشرت السرقات، وحلّ الهوان بين وشائج الدم والعقيدة، وليس ذلك إلا من أجل دنيا زائلة، ومنصب لا يدوم، متناسين أنهم سيقفون يومًا أمام من لا يغفل ولا ينام، أمام القوي المنان، فقست قلوبهم، ونسوا ربهم، وانشغلوا بدنياهم، وصدق النبي صلى الله عليه وسلم إذ يقول: «ويل للعرب من شر قد اقترب» [جزء من حديث أم المؤمنين زينب رضي الله عنها اتفق عليه الشيخان].

فاحذر أيها الأخ الكريم قبل فوات الأوان، وإياك أن تُلطخ يدك بدم مُحرَم، أو أن ترفع سلاحًا أو عصًا في وجه أخيك، أو تحرِّق الممتلكات، أو تقطع الطرقات، وإياك والسلب والنهب!! فلنُفق على عتبة رمضان، قبل فوات الأوان، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

حُرمة الدماء

نستقبلُ شهر رمضان.. وها قد التقى الجمعان، ودارت رحى فتنةٍ عمياء، كريهة المنظر، يهدر صوتها كئيبًا ممتزجًا بآهات الثكالى، وبكاء الأطفال، وأنين مصاب، وعويل أرملة، واستغاثة مظلوم، وصراخ عذراء، يُنتهك عِرْضها، ودقاتُ قلب أم ملتاعة على ابنها، فتنةٌ لا تُميز إلا رائحة الدماء، ولا تزيدها الدماءُ إلا شراسة وطيشًا، أما دعوات التعقل وحَقن الدماء، وتعظيم الحرمات، فزبدٌ يذهبُ جفاءً.

كفى مصر فخرًا أن الذي سماها مصرًا هو الله سبحانه وتعالى، وإن القلب ليتفطر حزنًا، عندما ترى العين

مشاهد كريهة في ميادين مصر كلها، كل المحرمات قد استُبيحت، والقلوب قد قست، والعقول قد أُغلقت، والمسامعُ قد سُدَّت، احذروا الدماء فبئست المناصب، وبئست الكراسي، فحرمة الدماء عند الله عظيمة، فليس من حق أي فصيل أن يستحل دم فصيل آخر، وإلاَّ لسقطت مصر، وغرقت السفينة، ولو غرقت السفينة لغرق الصالحون.

احفظوا مصر وحافظوا عليها، واعلموا أن حرمة الدماء عند الله عظيمة وعواقب الجراة عليها وخيمة، قال الله تعالى: «وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ» [النساء: ٩٣].

والله سبحانه قد حكم على من قتل نفسًا بغير حق بحكم عظيم تَقْشعِرُّ منه الجلود المؤمنة، وتخشعُ له القلوب الموقنة، فقال سبحانه وتعالى: «أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا» [المائدة: ٣٢].

وحذرنا ربنا من شر ولدي آدم عندما هانت عليه نفس أخيه فقتله، «فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ» [المائدة: ٣٠]، فقد خسر أخاه في الدنيا، وخسارته الكبرى خسارته لدينه وآخرته بهذا الفعل الشنيع.

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من سفك الدم المعصوم، وبيّن سوء مصير من قتل نفسًا بغير حق، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَجِيءُ الرَّجُلُ [يوم القيامة] آخِذًا بِيَدِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ هَذَا قَتَلَنِي. فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: لِمَ قَتَلْتَهُ؟ فَيَقُولُ: قَتَلْتُهُ لِتَكُونَ الْعِزَّةُ لَكَ. فَيَقُولُ: فَإِنَّهَا لِي، وَيَجِيءُ الرَّجُلُ آخِذًا بِيَدِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: إِنَّ هَذَا قَتَلَنِي. فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: لِمَ قَتَلْتَهُ؟ فَيَقُولُ: لِتَكُونَ الْعِزَّةُ لِفُلَانٍ. فَيَقُولُ: إِنَّهَا لَيْسَتْ لِفُلَانٍ؛ فَيَبُوءُ بِإِثْمِهِ. [سنن النسائي ٣٩٩٧ وصححه الألباني].

وقال صلى الله عليه وسلم: «أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ فِي الدِّمَاءِ». [متفق عليه].

ألا فتذكروا يا من أدركتم رمضان قول نبيكم نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم في خطبته المشهورة، يحرم فيها سفك دماء المسلمين، والاعتداء على أموالهم وأعراضهم، فعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر فقال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ قَالُوا: يَوْمٌ حَرَامٌ، قَالَ: فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟ قَالُوا: بَلَدٌ حَرَامٌ. قَالَ: فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟ قَالُوا: شَهْرٌ حَرَامٌ. قَالَ: فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فَأَعَادَهَا مِرَارًا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَوَصِيَّتُهُ إِلَى أُمَّتِهِ؛ فَلْيُبْلِغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ». [متفق عليه].

وقتل المسلم بغير حق اعتداء على المجتمع كله، وإن القتل وسفك الدماء مجلبة لسخط الرب سبحانه وتعالى، فانقذوا السفينة قبل أن تغرق.

فاليوم يتجرع التيار الإسلامي كله مرارة تعميم العقاب التي يرفضها العقلاء والمنصفون، وما ذلك إلاَّ نتاج ثقافة كراهية غرسناها بالممارسة الخاطئة، وبتغذية إعلام مضلل، وصحف هدامة، وأبواق ناعقة، غرسناها غرسًا في قلوب الكثيرين، وهذا يقطع الروابط في المجتمع ويمزق أواصر الأمة!!

سلوك سبيل الاستقامة

إنَّ مجانبةَ الضَّلال، والسَّلامة من الغواية، والنَّأي عن فساد العمل: منتهى أمل المسلم وغاية أمله، وذروة مقصده، لذا ليس عجبًا أن ينبعث له حسّ مرهَف، وشعور يقظ، وفكر حيّ، يحمله على كمال الحذَر من كل ما يحول بينه وبين سلوك سبيل الاستقامة، فإنَّ الحوائل كثيرة، وإنَّ العوائق عديدة، غير أنَّ من أظهر هذه الحوائل وأقوى هذه

نستقبل شهر رمضان.. بينما تدور رحى فتنة عمياء، كريهة المنظر، يهدر صوتها كئيبًا ممتزجًا بآهات الثكالى، وبكاء الأطفال، وأنين مصاب، وعويل أرملة، واستغاثة مظلوم، ودقات قلب أم ملتاعة على ابنها، فتنة لا تميز إلا رائحة الدماء، ولا تزيدها الدماءُ إلا شراسة وطيشًا، أما دعوات التعقل وحقن الدماء، وتعظيم الحرمات، فزبد يذهب جفاء.

> اليوم يتجرع التيار الإسلامي كله مرارة تعميم العقاب التي يرفضها العقلاء والمنصفون، وما ذلك إلا نتاج ثقافة كراهية غرسناها بالممارسة الخاطئة، وبتغذية إعلام مضلل، وصحف هدامة، وأبواق ناعقة، غرسناها غرسًا في قلوب الكثيرين، وهذا يقطع الروابط في المجتمع ويمزق أواصر الأمة!!

العوائق أثرًا وأشدَّها خطرًا: اتباعَ الهوى. وقد غلب ذلك على كثير من المصريين الذين أصبحوا فرقاء متنازعين، على معنى أن يكون دليل المرء وقائده ومرشده ما تميل إليه نفسه، ويهواه قلبه، ويلتذ به حسُّهُ، لا ما يأمره به وينهاه عنه الله ورسوله، فانتشر التيه بين الناس، وغلظت القلوب، وتناثرت الدروب، الواحدُ منا ينهش أخاه، بل يقتله، والآخر كان حريصًا على ذلك، يا لها من قلوب قد تحجرت، ومشاعر قد تبلدت، إنهم أبناء مصر، مصر التي شرفها الله بذكرها في قرآنه، وأوصى بأهلها النبي صلى الله عليه وسلم خيرًا.

الغوغائية لا يقوم بها دين ولا تصلح بها دنيا

إن ما تشهده الساحة على أرض مصر اليوم يفرح به العدو ويحزن بسببه الصديق، لأن ما يجري على أرض مصر هو انتكاسة ومصيبة عظمى تعيدنا إلى الوراء، وتبعدنا عن ريادتنا وتاريخنا، وإن استمراء ذلك وقبوله والسماح به، ناهيكم عن التمكين له، كل ذلك إعانة وخيانة، ومسلك عدائي لا يقوم به دين ولا تصلح به دولة.

إن وحدتنا لا تقوم على التحريش والتحريض، واستدعاء المثالب لطرف، وإبراز المناقب لآخر!! والانكفاء على العصبية، والرموز الحزبية، والنعرات الطائفية، إن ذلكم لهو الفشل الذريع، واستدعاء فصيل لقوى خارجية على فصيل آخر، قوى لا تكنُّ لمصر ولا لأهلها خيرًا قط، وقد رأينا الموقف الأمريكي الذي يتغير صباحًا ومساء.

إن العدو الخارجي، والغازي الأجنبي لم يُوجِد الخلاف في الأمة المصرية، ولكنه وجد فيها أرضا خِصبةً ليزرع مكرهُ وكيده فيمزِّق مصر وأهلها، ويفتِّت ويشتت قوة جيشها، وقد انتشرت في مصر خلال العامين الماضيين الأيادي الخفية، والمؤامرات المخابراتية في سيناء وغيرها من بقاع مصر الحبيبة؛ تقتلُ وتروعُ، وتنشر الفوضى والذعر والهلع، وما ذلك إلا أن قوى الشر في الخارج بمساعدة أعوانهم داخل مصر قد تجمعت لكسر مصر، بعد أن هانت على أبنائها!!

رمضان فرصة للتغيير

نستقبل شهر رمضان بمقاصده وخصائصه، وعبق ذكرياته، فهو مبعث عزنا، ومناط فخرنا، ومرفأ مجدنا، شهر تضمن البطولات والفتوحات، وتنزُّل الآيات البينات، فيه علو الأمجاد والظهور على قوى الشر والإلحاد، هو موسم التجارة مع الله رابحة، وفرصة لرفع الدرجات، وتكفير السيئات، من ضيعها فهو المحروم وقد أشقى نفسه.

ولنتذكر جميعًا أما كان بيننا أحبةٌ وأصحاب، رحلوا عنا قبل مجيء رمضان، أسلموا للثَّرى والتراب؟! كانوا كالشموس بيننا والأقمار، وقد طواهم البوار إلى دار القرار!!

كم نسعد ونغتبط بشهر رمضان حين نجعل منه دورة زمنية خيِّرة تقودنا إلى تحقيق الذات، والنصرة على النفس وملذاتها، والخضوع لرب العالمين، فيصلح كل إنسان ما بداخله، فيتزود بالتقوى ويحسن المراقبة، وتراجع كل طائفة ما تعتنقه من أفكار، فتصفوا النفوس، ويعود الوئام، فيُذهب الله عنهم الشيطان، وتعود مصر وشعبها لقيادة الأمة المسلمة، فهل يكون الشهر الكريم هذا العام موقظًا لمن تجمدت مشاعرهم، ومُزِّقتْ أوصالهم، واستحلوا الدماء فيما بينهم؟!

ألا فلنتق الله في هذا الشهر الكريم، شهر التنزيل والترتيل، فنكف أنفسنا فيه عن المحرمات، ولنسعى جاهدين أن نسطر في صحائف أعمالنا أعمالاً صالحة، ينفع بها المسلم نفسه وينتشر أثرها النافع على من حوله.

إنه شهر الجمال والجلال زاهر عاطر، وفضله بالخيرات ظاهر، وبالنعمة زاخر، نفحاته لا تعد ولا تحصى فشمروا الساعد واسمعوا النداء الذي ينادي يا باغ الخير أقبل ويا باغ الشر أقصر.

بالجد فاز من فاز، إنها فرصة عظيمة خاب وخسر واندحر وانكسر وتراجع وندم من لم يغتنمها، فيا خسارة أهل الرقود والصدود!! هذا نسيم القبول هبّ، وهذا سيل الخير، وهذا باب الإيمان مفتوح، فهل ترانا نحسن اغتنام هذا الشهر؟!

دعوة إلى الاجتماع والوحدة.. فالمناصب زائلة

ونحن على أعتاب شهر كريم عظيم لا يحتاج الإنسان إلى كبير عناء ليدرك أن الواقع المعاصر لأمتنا المصرية هو من أَمَرّ ما مرّ بها عبر تاريخها الطويل، إن لم يكن أمرّها على الإطلاق، فالأزمة الحالية التي تمر بها البلاد ليست كسائر الأزمات السالفة، وما ذلك إلاّ لخطورة التحديات وشدة الصراعات، وضراوة المؤامرات، في الداخل والخارج، ولا يكاد يختلف اثنان على أن مصر مستهدَفة من كل الدول، من خارجها، والغثائية المهينة من داخلها.

وقد حذرنا ربنا سبحانه من الفتن وأرشدنا إلى الصبر، فقال تعالى: « وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ » [البقرة: ١٥٥]، وشبّه النبي صلى الله عليه وسلم الفتن بقطع الليل المظلم، أي لا قمر فيها ولا ضياء، فالساري فيها على شفا هلكة، إن لم يكن معه نور يُبْصِر به مواقع أقدامه، والبلاد تمر بفتن مزّقت أوصال البلاد والعباد، أصبحت فِرَقًا وأحزابًا!!

الدعاء سلاح المؤمن

إن المسلمين اليوم لفي أشد الحاجة لاغتنام تلك الأيام المباركة بالعمل الصالح والدعاء النافع ليلتئم شمل الأمة، وتجتمع مرة أخرى، والدعاء سلاح المؤمن، وكثير من المسلمين لا يملك في هذا المنحى غير الدعاء، ولنعلم أن أقدار الله كلها خير، فكم في طيات المحن من منح، وكم في ثنايا النقم من نعم، وتلك سُنة الله الكونية والشرعية، والتاريخ خير شاهد. وهذا مما يبعث في نفس المسلم الثقة بالله عز وجل، ونصرة دينه من غير يأس مُقْعِد ولا إحباط قاتل، ومن غير تهور عاجل واندفاع زائد، والموفّق من قوّمته الدروس، واستلهم الدروس والعبر، ففهم آثارها وأسرارها وعواقبها، والله سبحانه هو هادي الخلق إلى الحق، وهو المستعان وعليه التكلان.

ولقد أكرم الله هذه الأمة في هذا الشهر المبارك باجتماع نوعي الدعاء فيه أكثر من غيره من الشهور، وذلك من خلال الإكثار من دعاء العبادة ودعاء المسألة؛ إذ يتمثل دعاء العبادة في الإكثار من الصلاة، والصوم، وقراءة القرآن، والصدقة والذكر، وهذه الطاعات كلها تتكاثر في رمضان وهي في الحقيقة دعاءُ من المرء بلسان الحال أن يغفر الله له، ويتقبل منه، ويجيره من عذابه. ويتمثل دعاء المسألة في الدعاء المشهور في القنوت، وعند الفطر، وبين الأذان والإقامة، وفي سائر الأوقات، وهذا كله فضل من الله ونعمه.

فهنيئًا لمن رزقه الله الاغتنام والتمام، وخيبة لمن سبقه المؤمنون، وتجاوزه المخلصون وهو لا يزال أسير هواه، طريح وساوسه يترسم لنفسه كرسيًا زائلاً، ومنصبًا فانيًا، وهي دنيا أصابها من أصابها، وأخطأها من أخطأها، وهي إلى زوال، فهل نفيق من غفلتنا قبل فوات الأوان؟! وهل يكون شهر رمضان داعيًا لنا لندرك أنفسنا قبل فوات الأوان وقبل أن تحل علينا الخيبة والخسران؟!

وبعدُ: فإن الإسلام - وبكل فخر واعتزاز وقوة - قد قدّم بعقائده وأحكامه ومبادئه للبشرية ما لم تقدمه حضارة أخرى، والمسلمون قادرون بإذن الله على الخروج من مشكلاتهم حين ينبذون الفرقة ويرفضون التمزق، قال سبحانه «إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ » [الرعد: ١١].

حفظ الله مصر من كل مكروه وسوء، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

إن أقدار الله كلها خير، فكم في طيات المحن من منح، وكم في ثنايا النقم من نعم، وتلك سُنة الله الكونية والشرعية، والتاريخ خير شاهد. وهذا مما يبعث في نفس المسلم الثقة بالله عز وجل، ونصرة دينه من غير يأس مُقعد ولا إحباط قاتل.

تفسير سورة غافر

الحلقة الثالثة

قال تعالى: «وَٱللَّهُ يَقْضِي بِٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ (٢٠) أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ (٢١) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ» [غافر: ٢٠- ٢٢]

إعداد/ د. عبد العظيم بدوي

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

في الحلقة السابقة تكلمنا عن أمر الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم بإنذار كفار قريش وما به من أهوال، وأن الظالمين ليس لهم في هذا اليوم من حميم ولا شفيع يُطاع، وأن الله عز وجل يعلم ما تخفي الأنفس وخائنة الأعين، واليوم نكمل حديثنا:

سبحان الحكم العدل:

قولِه: «وَاللَّهُ يَقْضِي» بين عباده يوم القيامة «بالْحَقِّ» كما قال تعالى: «وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ (٦٨) وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٦٩) وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ» [الزمر: ٦٨- ٧٠].

«وَالَّذِينَ يَدْعُونَ» وفي قراءة «وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِه» سبحانه «لا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ» سواء منهم من يعقل وما لا يعقل، أما ما لا يعقل فلا يقضون بشيء لأنهم جمادات، لا تسمع ولا تبصر، ولا تعلم ولا تعقل، وأما من يعقل فإنهم أيضًا لا يقضون بشيء؛ لأنهم عباد لله، لا يملكون لأنفسهم ضرًا ولا نفعًا، ولا يملكون موتًا ولا حياة ولا نشورًا.

«إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» يسمع كل الأصوات، بجميع اللغات واللهجات، ويبصر كل شيء في الأرض والسماوات.

وهذا الإنذار من قوله تعالى: «وأنذرهم يوم الأزفة» إلى قوله تعالى: «إن الله هو السميع البصير» يتضمن جميع الأسباب الموجبة للخوف.

فَأَوَّلُهَا: أَنَّهُ سَمَّى ذَلِكَ الْيَوْمَ يَوْمَ الْآزِفَةِ، أَيْ يَوْمَ الْقُرْبِ مِنْ عَذَابِهِ لِمَنِ ابْتُلِيَ بِالذَّنْبِ الْعَظِيمِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا قَرُبَ زَمَانُ عُقُوبَتِهِ كَانَ فِي أَقْصَى غَايَاتِ الْخَوْفِ، حَتَّى قيل: إِنَّ تِلْكَ الْغُمُومَ وَالْهُمُومَ أَعْظَمُ فِي الْإِيحَاشِ مِنْ عَيْنِ تِلْكَ الْعُقُوبَةِ.

وَالثَّانِي: قَوْلُهُ «إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ» وَالْمَعْنَى أَنَّهُ بَلَغَ ذَلِكَ الْخَوْفُ إِلَى أَنِ انْقَلَعَ الْقَلْبُ مِنَ الصَّدْرِ، وَارْتَفَعَ إِلَى الْحَنْجَرَةِ وَالْتَصَقَ بِهَا، وَصَارَ مَانِعًا مِنْ دُخُولِ النَّفَسِ.

وَالثَّالِثُ: قَوْلُهُ «كَاظِمِينَ» وَالْمَعْنَى أَنَّهُ لَا يُمَكِّنُهُمْ أَنْ يَنْطِقُوا وَأَنْ يَشْرَحُوا مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْحُزْنِ وَالْخَوْفِ، وَذَلِكَ يُوجِبُ مَزِيدَ الْقَلَقِ وَالِاضْطِرَابِ.

وَالرَّابِعُ: قَوْلُهُ «مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ» فَبَيَّنَ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُمْ قَرِيبٌ يَنْفَعُهُمْ، وَلَا شَفِيعٌ يُطَاعُ فِيهِمْ فَتُقْبَلُ شفاعَتُهُ.

وَالْخَامِسُ: قَوْلُهُ «يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا

تُخْفِي الصُّدُورُ» وَالْمَعْنَى أَنَّهُ سُبْحَانَهُ عَالِمٌ، لَا يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السموات وَلَا فِي الْأَرْضِ، وَالْحَاكِمُ إِذَا بَلَغَ فِي الْعِلْمِ إِلَى هَذَا الْحَدِّ كَانَ خَوْفُ الْمُذْنِبِ مِنْهُ شَدِيدًا جِدًّا.

السَّادِسُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: «وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ» وَهَذَا أَيْضًا يُوجِبُ عِظَمَ الْخَوْفِ، لِأَنَّ الْحَاكِمَ إِذَا كَانَ عَالِمًا بِجَمِيعِ الْأَحْوَالِ، وَثَبَتَ مِنْهُ أَنَّهُ لَا يَقْضِي إِلَّا بِالْحَقِّ فِي كُلِّ مَا دَقَّ وَجَلَّ، كَانَ خَوْفُ الْمُذْنِبِ مِنْهُ فِي الْغَايَةِ الْقُصْوَى.

السَّابِعُ: أَنَّ الْكُفَّارَ إِنَّمَا عَوَّلُوا فِي دَفْعِ الْعِقَابِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ عَلَى شَفَاعَةِ هَذِهِ الْأَصْنَامِ، وَقَدْ بَيَّنَ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ لَا فَائِدَةَ فِيهَا الْبَتَّةَ، فَقَالَ: «وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ».

الثَّامِنُ: قَوْلُهُ: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» أَيْ يَسْمَعُ مِنَ الْكُفَّارِ ثَنَاءَهُمْ عَلَى الْأَصْنَامِ، وَلَا يَسْمَعُ مِنْهُمْ ثَنَاءَهُمْ عَلَى اللهِ، وَيُبْصِرُ خُضُوعَهُمْ وَسُجُودَهُمْ لَهُمْ، وَلَا يُبْصِرُ خُضُوعَهُمْ وَتَوَاضُعَهُمْ لله.

فَهَذِهِ الْأَحْوَالُ الثَّمَانِيَةُ إِذَا اجْتَمَعَتْ فِي حَقِّ الْمُذْنِبِ الَّذِي عَظُمَ ذَنْبُهُ كَانَ بَالِغًا فِي التَّخْوِيفِ إِلَى الْحَدِّ الَّذِي لَا تُعْقَلُ الزِّيَادَةُ عَلَيْهِ. [التفسير الكبير(٢٧/ ٣٥)].

وجوب الاعتبار بوحدة مصير المكذبين:

«يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ »

لما بالغ الله تعالى في تخويف كفار قريش من عذاب الآخرة، أتبع ذلك بتخويفهم من عذاب الدنيا، وأمرهم أن يعتبروا بوحدة مصير المكذبين من قبلهم، فإنَّ الْعَاقِلَ مَنِ اعْتَبَرَ بِغَيْرِهِ، فقد «كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ» [غافر: ٥]، وقد بين الله تعالى كيف أخذهم، فقال: « فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ » [العنكبوت: ٤٠]، فاعتبروا يا أولي الأبصار، فلستم أكرم على الله من تلك الأمم، وليس الرسل السابقون أكرم على الله من محمد، ولذلك فصَّل الله تعالى في سورة القمر كيف أخذ الأمم السابقة، ثم خاطب كفار قريش بقوله: « أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ » [القمر: ٤٣- ٤٦].

« أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا » نظر اعتبار واتعاظ في «عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ»، « أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (٥١) فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا» [العنكبوت: ٥٢]، وقد « كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ »، وآثارهم تدل على شدة بأسهم وقوة أبدانهم، قال تعالى: «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ » [الفجر: ٦- ١٣]، « وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ » يقيهم عذاب الله، «إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ» [الفجر: ١٤]، لكل ظالم، ولكل طاغية.

فقد تكون الحضارات القديمة أكبر وأعظم من الحضارات الحديثة، والسابقون كانوا أقوى أبدانًا، وأشد قوة، وأكثر عددًا من اللاحقين، ولذلك قال تعالى: « وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ » [سبأ: ٤٥].

«ذَلِكَ» العذاب الذي نزل بهم «بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ» أي بالحجج البينات، والدلائل الواضحات، التي تدل على صدقهم فيما ادعوه من النبوة، «فَكَفَرُوا» بها، وعصوا رسل ربهم، كما قال تعالى: « فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ » [النمل: ١٣- ١٤].

«فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ» الملك العزيز الجبار المتكبر، ومن كانت هذه صفاته، فكيف يكون أخذه؟! وقد أشار سبحانه إلى شدة أخذه فقال: «إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ»، وقال تعالى: «وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ» [هود: ١٠٢].

كانت تلك إشارة مجملة إلى الأمم البائدة، الذين «كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ»، ثم خص الله تعالى فرعون وقومه بتفصيل نبأهم، وما كان منهم لموسى، وكيف أغرق الله فرعون وقومه، وأنجى موسى ومن آمن معه أجمعين؛ إعلامًا لرسوله محمد أن العاقبة له ولمن آمن معه، كما كانت لموسى ومن آمن معه.

قصة موسى عليه السلام وفرعون:

«وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٢٣) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٢٤) فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (٢٥) وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ (٢٦) وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ (٢٧) وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (٢٨) يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِن جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ» [غافر: ٢٣- ٢٩].

«وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بآيَاتنَا» وكانت تسعًا، كما قال تعالى: «وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ» [الإسراء: ١٠١]، وتفصيلها في قوله تعالى: «قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٠٦) فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (١٠٧) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ» [الأعراف: ١٠٦- ١٠٨]، فهاتان آياتان، والسبع مذكورات في قوله تعالى: «وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٣٠) فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣١) وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (١٣٢) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ» [الأعراف: ١٣٠- ١٣٣].

وقوله تعالى: «وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ» : السلطان هو الدليل والبرهان؟! كما قال تعالى في الإنكار على من جعلوا له ولدا، «أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ» [الصافات: ١٥٦].

ثم بين سبحانه المرسل إليهم، فقال: «إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ»:وفرعون معروف، وهو حاكم مصر في ذلك الزمان، وهامان وزيره، وقارون هو الرجل الغني الثري، وكان من قوم موسى، ولكن السلطان دائمًا يقرَب منه ذا المال، وإن لم يكن من قومه، فأتباع الملوك دائمًا الأغنياء والأثرياء، وأتباع الأنبياء دائمًا الفقراء والضعفاء. وإنما خص الله تعالى هؤلا ء الثلاثة بالذكر مع أن الرسالة تعم غيرهم، لأنهم أشد الناس عتوًا واستكبارًا وفسادًا في الأرض.

«فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ»: فكذبوه في قوله إني رسول الله، واتهموه بالسحر لما رأوا من انقلاب العصا ثعبانًا مبينًا.

ثم هموا بقتل ذكور أتباعه، «فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ»، ولكن الله عز وجل من ورائهم محيط، وقد وعد بنصر رسله وأتباعهم، وإهلاك مكذبيهم، ولذلك قال: «وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ»، وأتي بالاسم الظاهر «الْكَافِرِينَ» دون الضمير العائد على المذكورين لإفادة بطلان كل كيد يكيده الكافرون للمؤمنين في أي زمان ومكان، لأن الله تعالى هو الذي يدبر أمر عباده المؤمنين، كما قال تعالى: «إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا» [الطارق: ١٥- ١٦]، ومن كاد الله له، ومكر به، فهو هالك.

ففي هذا الخبر بشارة للمؤمنين المستضعفين في الأرض أن الله ناصرهم، ومهلك عدوهم، فليصبروا وليحتسبوا حتى يأتي الله بأمره.

«وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ»:

قال بعض المفسرين: كان فرعون إذا همَّ بقتل موسى قيل له: لا تقتله، عسى أن يكون صادقًا فيدعو عليك فتصيبك دعوته. وقال بعضهم: من جبنه وهلعه، لاعتقاده صدق موسى، كان يخاف أن يطلعوا على ما في قلبه من الخوف، فكان يتظاهر بالشجاعة، وأنه يريد قتل موسى، إلا أنهم يمنعونه، فقال: «ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ»، ولننظر ما تكون النتيجة. ثم علل ما عزم عليه من قتل موسى بما يدل على فساد قلبه، وسفاهة رأيه، فقال: «إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ»:وَالْخَوْفُ مُسْتَعْمَلٌ فِي الْإِشْفَاقِ، أَيْ أَظُنُّ ظَنًّا قَوِيًّا أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ. وَحُذِفَتْ (مِنْ) الَّتِي يَتَعَدَّى بِهَا فِعْلُ أَخَافُ لِأَنَّهَا وَقَعَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ (أَنْ) .

وَالتَّبْدِيلُ: تَعْوِيضُ الشَّيْءِ بِغَيْرِهِ. وَتَوَسَّمَ فِرْعَوْنُ ذَلِكَ مِنْ إِنْكَارِ مُوسَى عَلَى فِرْعَوْنَ زَعْمَهُ أَنَّهُ إِلَهٌ لقومه، فَإِنَّ تَبْدِيلَ الْأُصُولِ يَقْتَضِي تَبْدِيلَ فُرُوعِ الشَّرِيعَةِ كُلِّهَا.

وَالْإِضَافَةُ فِي قَوْلِهِ: «دِينَكُمْ» تَعْرِيضٌ بِأَنَّهُمْ أَوْلَى بِالذَّبِّ عَنِ الدِّينِ وَإِنْ كَانَ هُوَ دِينُهُ أَيْضًا، لَكِنَّهُ تَجَرَّدَ فِي مُشَاوَرَتِهِمْ عَنْ أَنْ يَكُونَ فِيهِ مُرَاعَاةٌ لِحَظِّ نَفْسِهِ كَمَا قَالُوا هُمْ: «أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي

﴿الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾ [الأعراف: ١٢٧]، وَذَلِكَ كُلُّهُ إِلْهَابٌ وَتَحْضِيضٌ.

والأرض: هي المعهودة عندهم وهي مملكة فرعون.

وَمَعْنَى إِظْهَارِ مُوسَى الْفَسَادَ عِنْدَهُمْ أَنَّهُ يَتَسَبَّبُ في ظُهُورِهِ بِدَعْوَتِهِ إِلَى تَغْيِيرِ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الدِّيَانَةِ وَالْعَوَائِدِ. وَأَطْلَقَ الْإِظْهَارَ عَلَى الْفُشُوِّ وَالِانْتِشَارِ عَلَى سَبِيلِ الِاسْتِعَارَةِ. وَقَدْ حَمَلَهُ غُرُورُهُ وَقِلَّةُ تَدَبُّرِهِ فِي الْأُمُورِ عَلَى ظَنِّ أَنَّ مَا خَالَفَ دِينَهُمْ يُعَدُّ فَسَادًا، إِذْ لَيْسَتْ لَهُمْ حُجَّةٌ لِدِينِهِمْ غَيْرُ الْإِلْفِ وَالِانْتِفَاعِ الْعَاجِلِ. [التحرير والتنوير (١٢٥/٢٤)].

وهذا القول أكبر دليل على فساد قلب فرعون، واستحكام الضلال منه، وهكذا دائما السفهاء والضالون، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾ [المطففين: ٢٩- ٣٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ (١٢) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١١- ١٣].

فما كان من موسى عليه السلام إلا أن قال: «وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ»:

العوذ معناه: اللجوء والالتصاق، «عُذْتُ» أي لجأت والتصقت، وهربت وفررت، ولم يخصهم موسى بالاستعاذة منهم، بل أطلق وعمَّ «مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ»، وخصَّ هذين الوصفين بالذكر لأن المتكبر يضرَ ولا ينفع، والذي لا يؤمن بالحساب والجزاء لا يمتنع من شر، ولا يرجع عن فساد، كما قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (١) فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (٢) وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الماعون: ١- ٣].

فلما استعاذ موسى بالله بعث الله رجلاً من آل فرعون يعظهم ويذكرهم وينهاهم عن قتله، «وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ» يعني قبطيًا لا إسرائيليًا، «يَكْتُمُ إِيمَانَهُ» عن فرعون وملئه، «أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ»؟! وهل هذا القول جريمة توجب القتل؟! نعم، إنها جريمة في نظر القاسية قلوبهم، وهل قُتل مؤمن في أي زمان إلا بسبب الإيمان، كما قال الله تعالى عن أصحاب الأخدود: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨]، ثم أشار المؤمن إلى صدق موسى عليه السلام فقال: «وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ» التي تدل على صدقه، ثم أراد أن يدفع عن نفسه مظنة أن يكون به مؤمنًا، فقال: «وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ» أي فضرر كذبه عليه هو، لا عليكم، «وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ» به من العذاب الذي ينتظر المكذبين.

ومرة ثانية يشير رضي الله عنه إلى صدق موسى عليه السلام فيقول: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ»، وموسى على هدى من ربه، فليس مسرفًا ولا كذابًا. ثم أراد أن يستعطفهم لعلهم يسمعون له، ويستجيبون لما يدعوهم إليه من اتباع موسى، وإن كان لم يصرح بذلك، فقال محذرهم:

«يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ»: هكذا أضافهم إلى نفسه استعطافًا واسترحامًا، ولعلهم يتقون. والمراد بالأرض أرض مصر، كما قال فرعون: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الزخرف: ٥١]، وأراد المؤمن أن يحذرهم من الاغترار بما هم فيه من الملك والتصرف في البلاد، كما قال تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٩٦- ١٩٧]، ولذلك قال الرجل المؤمن: «فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا»، وهكذا جعل نفسه معهم دفعًا لمظنة أن يكوم مؤمنًا بموسى، فهو يخوفهم بأس الله، ويعلمهم أن عذاب الله إذا وقع بمستحقيه فما له من دافع، كما أقسم ربنا سبحانه على ذلك فقال: ﴿وَالطُّورِ (١) وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ (٢) فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ (٣) وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (٤) وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ (٥) وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ (٦) إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ (٧) مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾ [الطور: ١- ٨].

ومع كل هذا النصح وهذا التحذير، ما كان جواب فرعون إلا أن: «قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ» وقد صدق في الأولى، فهذا رأيه الذي يراه، وقد زُيِّن له سوء عمله فرآه حسنًا، وكذب في الثانية، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٩٦) إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ [هود: ٩٦- ٩٧]، وقال تعالى: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾ [طه: ٧٩].

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

الإخلاص

إعداد/ د. أحمد حطيبة

الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهَدْيِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، أَمَّا بَعْدُ:

فَقَدْ خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ لِيَعْبُدُوهُ وَحْدَهُ فَقَالَ تَعَالَى: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ» [الذاريات: ٥٦-٥٧].

وَأَمَرَهُمْ سُبْحَانَهُ بِأَنْ يُخْلِصُوا لَهُ الدِّينَ فَقَالَ: «وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ» [التوبة: ٣١]، وَقَال: «وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ» [البينة: ٥]، وَقَال: «إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ» [الزمر: ٢]، وَقَال: «قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ» [البقرة: ١٣٩].

وَحَذَّرَنَا رَبُّنَا فِي كِتَابِهِ مِنْ الشِّرْكِ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا» [النساء: ٤٨].

وَأَرْسَلَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ كَيْفَ يَعْبُدُونَ اللَّهَ وَيُخْلِصُونَ لَهُ وَيُوَجِّهُونَ قُلُوبَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ، فَفِي الصَّحِيحَيْنِ عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ». [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١، ٥٤، ٢٥٢٩، ٣٩٩٨)، وَمُسْلِمٌ (١٩٠٧) عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ].

وَرَوَى أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ثَلَاثُ خِصَالٍ لَا يَغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ أَبَدًا: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَمُنَاصَحَةُ وُلَاةِ الْأَمْرِ، وَلُزُومُ الْجَمَاعَةِ؛ فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ، وَقَالَ: مَنْ كَانَ هَمُّهُ الْآخِرَةَ جَمَعَ اللَّهُ شَمْلَهُ وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتْ نِيَّتُهُ الدُّنْيَا فَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ». [رَوَاهُ أَحْمَدُ (٢١٠٨٠) عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي

الصحيحة (٤٠٤)].

وَمَعْنَى (لا يَغِلُّ عَلَيْهِنَّ): أي لاَ يَحِيدُ عَنِ الصَّوَابِ غَاشًا، قَالَ في «لسَانِ الْعَرَبِ: غَلَّ بَصَرُ فُلانٍ: حَادَ عَنِ الصَّوَابِ ؛ مَنْ غَلَّ يَغِلُّ، وَأَغَلَّ الْخَطِيبُ إذَا لَمْ يُصِبْ في كلامه. اهـ. وَقَالَ ابْنُ الأثِيرِ الْجَزَرِيُّ في «النِّهَايَة في غَرِيبِ الْحَدِيثِ»: (ثَلاثٌ لا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُؤْمِنٍ) هو من الإغْلال: الخيانة في كل شَيْء .

ويُروى: يَغِلُّ: بِفَتْحِ الْيَاءِ، مِنَ الْغِلِّ وَهُوَ الْحِقْدُ والشَّحْنَاءُ: أَيْ لاَ يَدْخُلُهُ حِقْدٌ يُزِيلُهُ عَنِ الْحَقِّ. وَرُوِيَ: يَغِلُ: بِالتَّخْفِيفِ، مِنَ الْوُغُولِ: وَهُوَ الدُّخُولُ في الشَّرِّ.

وَالْمَعْنَى أَنَّ هَذِهِ الْخِلاَلَ الثَّلاَثَ تُسْتَصْلَحُ بِهَا الْقُلُوبُ، فَمَنْ تَمَسَّكَ بِهَا طَهُرَ قَلْبُهُ مِنَ الْخِيَانَةِ وَالدَّغَلِ وَالشَّرِّ. اهـ.

وَعَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ: (عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ ظَنَّ أَنَّ لَهُ فَضْلاً عَلَى مَنْ دُونَهُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا يَنْصُرُ اللَّهُ هَذِهِ الأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا بِدَعْوَتِهِمْ وَصَلاتِهِمْ وَإِخْلاَصِهِمْ»). [رَوَاهُ النَّسَائِيُّ (٣١٧٨) وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ». [رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٩٨٥)]

وَعَنْ الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ رضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: أَنَا خَيْرُ شَرِيكٍ، فَمَنْ أَشْرَكَ مَعِي شَرِيكًا فَهُوَ لِشَرِيكِي، يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَخْلِصُوا أَعْمَالَكُمْ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لاَ يَقْبَلُ مِنَ الأَعْمَالِ إِلاَّ مَا خَلَصَ لَهُ، وَلاَ تَقُولُوا هَذِهِ لِلَّهِ وَلِلرَّحِمِ فَإِنَّهَا لِلرَّحِمِ، وَلَيْسَ لِلَّهِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَلاَ تَقُولُوا هَذِهِ لِلَّهِ وَلِوُجُوهِكُمْ ؛ فَإِنَّهَا لِوُجُوهِكُمْ وَلَيْسَ لِلَّهِ مِنْهَا شَيْءٌ». [رَوَاهُ الدَّارَقُطْنِيُّ فِي السُّنَنِ (١ / ٥١)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ لِغَيْرِهِ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ» (١ / ٣)].

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلاً غَزَا يَلْتَمِسُ الأَجْرَ وَالذِّكْرَ مَالَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا شَيْءَ لَهُ، فَأَعَادَهَا ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لاَ شَيْءَ لَهُ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ لا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلاَّ مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ». [رَوَاهُ النَّسَائِيُّ (٣١٤٠) قَالَ الأَلْبَانِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَامِكُمْ وَلاَ إِلَى صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ - وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ إِلَى صَدْرِهِ - وَأَعْمَالِكُمْ». [رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٥٦٤)].

فَالْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَعْمَلُ بِطَاعَةِ اللَّهِ مُخْلِصًا فِي عَمَلِهِ لِلَّهِ، لاَ يُرِيدُ بِذَلِكَ إِلاَّ رِضَا اللَّهِ، وَيُرَاقِبُ نَفْسَهُ وَيُحَاسِبُهَا هَلْ أَرَادَتْ بِعَمَلِهَا وَجْهَ اللهِ أَمْ أَنَّهَا تَزَيَّنَتْ بِهِ لِلنَّاسِ، فَلْنُجَاهِدْ أَنْفُسَنَا بِالإِخْلاَصِ، وَلْنَتَعَلَّمْ مِنْ سِيَرِ الصَّالِحِينَ كَيْفَ كَانُوا يَعْمَلُونَ وَيَسْتُرُونَ أَعْمَالَهُمْ عَنِ الْخَلْقِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ الْخَالِقِ سُبْحَانَهُ.

أُجَاهِدُ نَفْسِي كَيْ أَفُكَّ إِسَارَهَا
وَلَكِنَّ إِخْلاَصَ الْقُلُوبِ عَزِيزُ

قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ خَبِيءٌ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ فَلْيَفْعَلْ). [رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «مُصَنَّفِهِ» (٣٥٧٦٨) عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ مَوْقُوفًا، وَرَوَاهُ الْخَطِيبُ (١١ / ٢٦٣) مَرْفُوعًا وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ مَرْفُوعًا فِي «السِّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ» (٢٣١٣)].

وَتَأَمَّلْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ هَذِهِ الْقِصَّةَ الَّتِي رَوَاهَا الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ» (٧/ ٢٢٣/ ٤٩٠٨) بِإِسْنَادِهِ عَنْ نَافِعٍ، قَالَ: (خَرَجَ ابْنُ عُمَرَ فِي بَعْضِ نَوَاحِي الْمَدِينَةِ وَمَعَهُ أَصْحَابٌ لَهُ، وَوَضَعُوا سُفْرَةً لَهُ، فَمَرَّ بِهِمْ رَاعِي غَنَمٍ، قَالَ: فَسَلَّمَ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ:

هَلُمَّ يَا رَاعِي، هَلُمَّ فَأَصِبْ مِنْ هَذِهِ السُّفْرَة، فَقَالَ لَهُ: إِنِّي صَائِمٌ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: أَتَصُومُ فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ الْحَارِّ شَدِيدٍ سَمُومُهُ، وَأَنْتَ فِي هَذِهِ الْجِبَالِ تَرْعَى هَذَا الْغَنَمَ؟ فَقَالَ لَهُ: إِيْ وَاللهِ أُبَادِرُ أَيَّامِيَ الْخَالِيَةَ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ وَهُوَ يُرِيدُ يَخْتَبِرُ وَرَعَهُ: فَهَلْ لَكَ أَنْ تَبِيعَنَا شَاةً مِنْ غَنَمِكَ هَذِهِ فَنُعْطِيكَ ثَمَنَهَا وَنُعْطِيكَ مِنْ لَحْمِهَا فَتُفْطِرَ عَلَيْهِ؟ فَقَالَ: إِنَّهَا لَيْسَتْ لِي بِغَنَمٍ، إِنَّهَا غَنَمُ سَيِّدِي، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: فَمَا عَسَى سَيِّدُكَ فَاعِلاً إِذَا فَقَدَهَا فَقُلْتَ: أَكَلَهَا الذِّئْبُ؟ فَوَلَّى الرَّاعِي عَنْهُ وَهُوَ رَافِعٌ أُصْبُعَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَهُوَ يَقُولُ: أَيْنَ اللهُ، قَالَ: فَجَعَلَ ابْنُ عُمَرَ يُرَدِّدُ قَوْلَ الرَّاعِي وَهُوَ يَقُولُ: قَالَ الرَّاعِي: فَأَيْنَ اللهُ؟ قَالَ: فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ بَعَثَ إِلَى مَوْلَاهُ فَاشْتَرَى مِنْهُ الْغَنَمَ وَالرَّاعِيَ فَأَعْتَقَ الرَّاعِيَ، وَوَهَبَ لَهُ الْغَنَمَ).

فَقَالَ وَقَدْ صَامَ فِي دَهْرِهِ
أُبَادِرُ أَيَّامِيَ الْخَالِيَةَ
فَأَيْنَ الْفِرَارُ إِذَا خُنْتُهُ
وَكَيْفَ الْخُرُوجُ مِنَ الْهَاوِيَةِ

قَارِنْ بَيْنَ هَذَا الرَّاعِي الْوَجِلِ، وَبَيْنَ هَذَا الْأَعْرَابِيِّ الَّذِي كَانَ يُصَلِّي، فَأَخَذَ قَوْمٌ يَمْدَحُونَهُ وَيَصِفُونَهُ بِالصَّلَاحِ، فَقَطَعَ صَلَاتَهُ وَقَالَ: مَعَ هَذَا إِنِّي صَائِمٌ.!! [أخبار الحمقى والمغفلين لابْنِ الْجَوْزِيِّ (ص: ١١٧)]. **إِخْلَاصُ** الْقَلْبِ يَمْنَعُ الْمُؤْمِنَ مِنَ الرِّيَاءِ فَيَحْفَظُ الْعَمَلَ، وَحُبُّ الظُّهُورِ يُحْبِطُ الْعَمَلَ.

رَوَى مُسْلِمٌ (١٩٠٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَالَ لَهُ نَاتِلُ أَهْلِ الشَّامِ أَيُّهَا الشَّيْخُ حَدِّثْنَا حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: نَعَمْ ؛ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ ؛ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ ؛ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ ؛ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»

قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: (لَا يَغُرَّنَّكُمْ طَرْفُ الرَّجُلِ وَفَصَاحَتُهُ وَإِنْ كَانَ مَعَ ذَلِكَ قَائِمَ اللَّيْلِ صَائِمَ النَّهَارِ إِذَا رَأَيْتُمْ فِيهِ ثَلَاثَ خِصَالٍ: الْعُجْبَ، وَكَثْرَةَ الْمَنْطِقِ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ، وَأَنْ يَجِدَ عَلَى النَّاسِ فِيمَا يَأْتِي مِثْلَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَلَامَةِ الْجَاهِلِ).

الْعِبَادَةُ حِلْيَتُهَا الِاقْتِدَاءُ وَالْإِخْلَاصُ وَالصِّدْقُ، وَثَمَرَتُهَا الِاهْتِدَاءُ وَالْخَلَاصُ وَالْعِتْقُ.

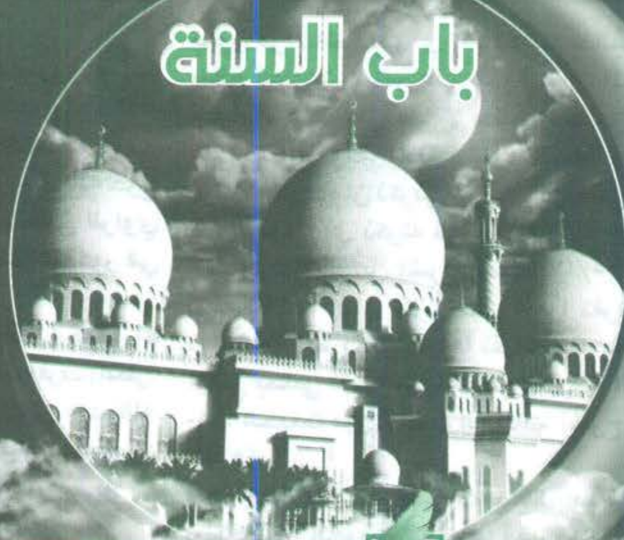
قَالَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي الْإِخْلَاصِ (ص٣٢): حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ مُحَمَّدٍ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا عَبْدِ النِّبَاجِيَّ يَقُولُ: (خَمْسُ خِصَالٍ بِهَا تَمَامُ الْعَمَلِ: الْإِيمَانُ بِمَعْرِفَةِ اللهِ وَمَعْرِفَةِ الْحَقِّ، وَإِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَالْعَمَلُ عَلَى السُّنَّةِ، وَأَكْلُ الْحَلَالِ، فَإِنْ فَقَدْتَ وَاحِدَةً لَمْ يَرْتَفِعِ الْعَمَلُ، وَذَلِكَ أَنَّكَ إِذَا عَرَفْتَ اللَّهَ وَلَمْ تَعْرِفِ الْحَقَّ لَمْ تَنْتَفِعْ، وَإِذَا عَرَفْتَ الْحَقَّ وَلَمْ تَعْرِفِ اللهَ لَمْ تَنْتَفِعْ، وَإِنْ عَرَفْتَ اللَّهَ وَعَرَفْتَ الْحَقَّ وَلَمْ تُخْلِصِ الْعَمَلَ لَمْ تَنْتَفِعْ، وَإِنْ عَرَفْتَ اللَّهَ وَعَرَفْتَ الْحَقَّ وَأَخْلَصْتَ الْعَمَلَ وَلَمْ يَكُنْ عَلَى السُّنَّةِ لَمْ تَنْتَفِعْ، وَإِنْ تَمَّتِ الْأَرْبَعُ وَلَمْ يَكُنِ الْأَكْلُ مِنْ حَلَالٍ لَمْ تَنْتَفِعْ).

وَقَالَ ابْنُ عَجْلَانَ: (لَا يَصْلُحُ الْعَمَلُ إِلَّا بِثَلَاثٍ: التَّقْوَى لِلَّهِ وَالنِّيَّةِ الْحَسَنَةِ وَالْإِصَابَةِ).

نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ أَعْمَالَنَا كُلَّهَا صَالِحَةً، لَهُ خَالِصَةً، وَأَنْ لَا يَجْعَلَ لِأَحَدٍ فِيهَا شَيْئًا.

روضة التائبين

باب السنة



١٤٣٤

إعداد/ د. السيد عبد الحليم

روى الإمام البخاري في صحيحه بسنده عن أبي صَالِحٍ عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «يقول الله تَعَالَى: أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وأنا معه إذا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي في نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي في ملأ ذَكَرْتُهُ في ملأ خَيْرٍ منهم، وَإِنْ تَقَرَّبَ إلي شبرا تَقَرَّبْتُ إليه ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إلي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إليه بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً».

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

أولاً: التخريج

أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب ما يُذكر في الذات والنعوت وأسامي الله ٦/٢٦٩٤، ط٣/ دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، واللفظ له.

وأخرجه مسلم في كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالاسْتِغْفَارِ، بَاب الْحَثِّ على ذِكْرِ اللَّه تَعَالَى (٤/٢٠٦١)، وأخرجه في كتاب التوبة، بَاب في الْحَضِّ على التَّوْبَةِ وَالْفَرَحِ بها (٤ / ٢١٠٢)، ط/ دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، وزاد «والله لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ من أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ بِالْفَلَاةِ».

صحيح ابن حبان (١/٤٠١) وزاد « فليظن بي ما شاء »، و(٢/٤٠٥) بزيادة «إن ظن خيرًا فله، وإن ظن شرًا فله».

شرطنا في هذا التخريج:

اقتصرنا على تخريج الحديث من الصحيحين، ومن موضع واحد من كل منهما إلا إذا كانت هناك زيادة في لفظ الحديث تستدعي تخريجه من الموضع الآخر، أو من كتاب آخر.

ثانيا: رواة الحديث

أبو هريرة: حافظ الصحابة، اختُلف في اسمه واسم أبيه، فقيل: عبد الرحمن بن صخر الدوسي (قلت: على الراجح) مات سنة سبع وقيل سنة ثمان، وقيل تسع وخمسين وهو ابن ثمان وسبعين سنة. (انظر: تقريب التهذيب للحافظ بن حجر ١/ ٦٨٠، ط/ دار الرشيد، تحقيق: محمد عوامة).

أبو صالح: هو ذكوان السمان الزيات المدني، ثقة ثبت، وكان يجلب الزيت إلى الكوفة، من الثالثة، مات سنة إحدى ومائة، (انظر: تقريب التهذيب للحافظ بن حجر ١/ ٢٠٣، ط١/ دار الرشيد، تحقيق: محمد عوامة).

فائدة مهمة:

هناك راويان عن أبي هريرة يروي عنهما الأعمش، وكلاهما يكنى بأبي صالح؛ واحد ثقة، والآخر مختلف فيه، وهو إلى الضعف أقرب.

الأول: أَبُو صَالِحِ السَّمَّانُ، ذَكْوَانُ بنُ عَبْدِ اللهِ خرَّج حديثه أصحابُ الكتب الستة، وإذا أُطلق الراوي «أبا صالح» فالمراد به ذكوان السمان المذكور في حديثنا هذا.

الثاني: أَبُو صَالِحِ بَاذَامُ، وَيُقَالُ: (ذاذان)، مولى أم هانئ، مختلف فيه، وهو إلى الضعف أقرب (انظر: ترجمته في سير أعلام النبلاء لأبي عبد الله الذهبي، ط٩/ مؤسسة الرسالة - بيروت، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي).

ثالثا: درجة الحديث

قلت: هذا الحديث مما اتفق عليه الشيخان، وقد أجمع علماء الحديث على أن ما اتفق عليه البخاري ومسلم من أحاديث هي أعلى مراتب الصحيح. (انظر هذا الإجماع في مجموع الفتاوى ٢٩٥/١٨).

رابعًا: معاني الحديث وشرحه مختصرًا:

قوله صلى الله عليه وسلم: (يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي):

- أي قادر على أن أعمل به ما ظن أني عامل به. (فتح الباري ١٣ / ٣٨٥)، ط/ دار المعرفة، تحقيق: محب الدين الخطيب).

(أو عند ظنه بالغفران له إذا استغفر، والقبول إذا تاب، والإجابة إذا دعا، والكفاية إذا طلب، وتأميل العفو إذا ظن هذا بربه. (انظر: شرح السنة للبغوي (٥/١٧)، ط٢/ المكتب الإسلامي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - محمد زهير الشاويش).

قوله تعالى: (وأنا معه إذا ذكرني): أي معه بالرحمة والتوفيق والهداية والرعاية، وأما قوله تعالى: (وهو معكم أينما كنتم) فمعناه بالعلم والإحاطة. (انظر: شرح السنة ٥/١٧).

قوله تعالى: (فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي): قال المازري: [وهو من أئمة المالكية الذين شرحوا صحيح مسلم (انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٠ / ١٠٤]: النفس تطلق في اللغة على معان، منها الغيب، وهو أحد الأقوال في قوله تعالى: (تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك) أي ما في غيبي، فيجوز أن يكون مراد الحديث أي إذا ذكرني خاليًا بما لا يطلع أحد من البشر على هذا العمل، أثابه الله وجازاه عما عمل بما لا يطلع أحد من البشر على هذه المثوبة. (انظر: شرح السنة: ٥/١٧).

قوله تعالى: (وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ هم خير منهم): أي ذكرته في ملأ الملائكة الذين هم خير من ملأ البشر. (شرح السنة: ٥/١٧).

قوله تعالى: (وإن تقرب مني شبرًا تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرب إليّ ذراعًا تقربت منه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة): يقول الإمام البغوي: «هذا الحديث من أحاديث الصفات. [شرح السنة: ٥/١٧].

قلت: والقاعدة في الصفات سيأتي بيانها فيما يُستفاد من الحديث، فانظرها فهي مهمة.

الزيادات على اللفظ المذكور من كتب السنة الأخرى وبيان معناها

قوله صلى الله عليه وسلم: (لله أشد فرحًا بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة) (مسلم ٤/ ٢١٠٢): هذه ونظائرها صفات لله تعالى، ورد بها السمع يجب الإيمان بها، وإمرارها على ظاهرها، معرضًا فيها عن التأويل، مجتنبًا عن التشبيه، معتقدًا أن الباري سبحانه وتعالى لا يشبه شيء من صفاته صفات الخلق، كما لا تشبه ذاته ذوات الخلق، قال الله سبحانه وتعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ) [الشورى: ١١]. (شرح السنة للبغوي: ١ / ١٧٠).

قوله: (فليظن بي ما شاء) (صحيح ابن حبان ٤٠١/١): المراد أنا عند أمله ورجائه. (فيض القدير شرح الجامع الصغير: ٤ / ٤٩٠، ط١/ المكتبة التجارية الكبرى).

قوله: (إن ظن خيرًا فله، وإن ظن شرًا فله) صحيح ابن حبان (٤٠٥/٢)، أي: إن ظن أني أفعل به شرًا فله، فالمعاملة تدور مع الظن، فمن حسَّن ظنه بربه وفَّى له بما ظن، ومن ساء ظنه بربه فالعقوبة إليه سريعة. (التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي (٢ / ١٨٨)، ط٣/مكتبة الإمام الشافعي).

خامسًا: ما يُستفاد من الحديث

قاعدة مهمة في صفات الله تعالى التي ورد بها السمع: يجب الإيمان بها، وإمرارها على ظاهرها معرضًا فيها عن التأويل، مجتنبًا عن التشبيه،

معتقدًا أن الباري سبحانه وتعالى لا يشبه شيء من صفاته صفات الخلق، كما لا تشبه ذاته ذوات الخلق، قال الله سبحانه وتعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ) [الشورى: ١١]، وعلى هذا مضى سلف الأمة، وعلماء السنة، تلقوها جميعًا بالإيمان والقبول، وتجنبوا فيها التمثيل والتأويل، ووكلوا العلم فيها إلى الله عز وجل، كما أخبر الله سبحانه وتعالى عن الراسخين في العلم، فقال عز وجل: (وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا) [آل عمران: ٧].

وسأل رجل الإمام مالك بن أنس عن قوله سبحانه وتعالى: (الرحمن على العرش استوى) [طه: ٥] كيف استوى؟ فقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا ضالًا. وأمر به أن يُخرَج من المجلس،

وقال الوليد بن مسلم: سألت الأوزاعي، وسفيان بن عيينة، ومالك بن أنس عن هذه الأحاديث في الصفات والرؤية، فقال: أَمِرُّوها كما جاءت بلا كيف. وقال الزهري: «على الله البيان، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم». وقال بعض السلف: قدم الإسلام لا تثبت إلا على قنطرة التسليم. (شرح السنة ج ١ ص ١٧٠).

ينبغي للمرء أن يجتهد في القيام بما عليه، موقنًا بأن الله يقبله ويغفر له؛ لأنه وعد بذلك وهو لا يخلف الميعاد، فإن اعتقد أو ظن أن الله لا يقبل أعماله أو أنها لا تنفعه، فهذا هو اليأس من رحمة الله وهو من الكبائر، ومن مات على ذلك وُكِلَ إلى ما ظن؛ كما في بعض طرق الحديث المذكور (فليظن بي عبدي ما شاء).

قال ابن حجر: «وأما ظن المغفرة مع الإصرار فذلك محض الجهل والغرة، وهو يجر إلى مذهب المرجئة».(فتح الباري: ١٣ / ٣٨٥).

قال بعض أهل العلم: «يستفاد منه أن الذكر الخفي أفضل من الذكر الجهري». (فتح الباري ١٣ / ٣٨٧).

قال الحافظ: «قال ابن بطال: هذا نص في أن الملائكة أفضل من بني آدم، وهو مذهب جمهور أهل العلم، والأنبياء أفضل من الملائكة، ومن أدلة تفضيل النبي على المَلَك أن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم على سبيل التكريم له حتى قال إبليس: (أرأيتك هذا الذي كرمت عليّ)، ومنها قوله تعالى: (إن الله اصطفى آدم ونوحًا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين)، لذا وإن كان الأنبياء في جملة الذاكرين إلا أن الخيرية إنما حصلت بالذاكر والملأ معًا، فالجانب الذي فيه رب العزة خير من الجانب الذي ليس هو فيه بلا ارتياب، فالخيرية حصلت بالنسبة للمجموع على المجموع. (انظر: فتح الباري ١٣ / ٣٨٨).

وهذا خلاف لما استدلت به المعتزلة ومن وافقهم على تفضيل الملائكة على الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، قال الإمام النووي: «ومذهب أصحابنا وغيرهم أن الأنبياء أفضل من الملائكة؛ لقوله تعالى في بني إسرائيل (وفضلناهم على العالمين) والملائكة من العالمين» (انظر: شرح السنة ١٧/٥).

٥- هذا الحديث أصل عظيم في حسن الرجاء في الله، وجميل الظن به، وليس لنا وسيلة إليه إلا ذلك، قالوا والأفضل للمريض أن يكون رجاؤه أغلب، قال القرطبي: وقد كانوا يستحبون تلقين المحتضر محاسن عمله ليحسن ظنه بربه (انظر: فيض القدير للمناوي: ٤ / ٤٩٠، ط١/ المكتبة التجارية الكبرى).

سادسًا: رمضان ودموع التائبين

حبيبي في الله: أعلم أنك تحمل قلبًا بتوحيد الله ناطقًا، وفي جنته راغبًا، ومن ناره خائفًا، من أجل هذا أرغب في القرب منك، والتحدث إليك حديث المحب لحبيبه.

حديث الروح للأرواح يسري
وتدركه القلوب بلا عناء

حبيبي في الله تصور إذا مات الإنسان من غير توبة ولم يغفر له، وهو يُسْحَب على وجهه وهو أعمى في نار حرها شديد، وقعرها بعيد، وطعام أهلها الزقوم وشرابهم فيها الصديد (يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ) [إبراهيم:١٧]، يُسْحَب على وجهه في نار (وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ) [التحريم:٦].

فتفكر حبيبي في الله في الصراط وحدته، والخلائق أمامك يسيرون عليه، فناجٍ مسلَّم، ومخدوش مرسل، ومكردس على وجهه في نار جهنم، قال صلى الله عليه وسلم واصفًا

مرور الخلائق: «كَالطَّرْف وَكَالْبَرْق وَكَالرِّيح وَكَأَجَاوِيد الْخَيْل وَالرِّكَاب فَنَاج مُسَلَّمٌ وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ وَمَكْدُوسٌ في نَارِ جَهَنَّمَ» (جزء من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في صحيح البخاري (٦ / ٢٧٠٧).

وقال تعالى واصفا صنفي العباد يوم القيامة: (فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ) [هود:١٠٥-١٠٨].

أخي الحبيب.. إذا كان الحال كذلك فلا بد من وقفة مع النفس لمحاسبتها، قال تعالى: (فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ)، قال ابن الجوزي رحمه الله: (ففروا إلى الله بالتوبة من ذنوبكم، والمعنى: اهربوا مما يوجب العقاب من الكفر والعصيان إلى ما يوجب الثواب من الطاعة والإيمان). (زاد المسير ٨/٤١، ط٣/ المكتب الإسلامي).

حبيبي في الله: ألم يأن الأوان - وقد أقبل رمضان - أن نتوب إلى الله، وقد قال تعالى (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ) [الحديد:١٦]. رجاء الفوز بذلكم الموعود على لسان سيد كل مولود، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا كان أول ليلة من رمضان صُفدت الشياطين ومردة الجن، وغُلقت أبواب النار فلم يُفتح منها باب، وفُتحت أبواب الجنان فلم يُغلق منها باب، ونادى مناد يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار». [قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه (المستدرك (١ / ٥٨٢)، ط١/دار الكتب العلمية، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا).

ثم ها هي بعض فضائل التوبة يا حبيبي، عسى أن تقر بها أعيننا، ونسارع بها إلى ربنا تائبين:

أولاً: التوبة سبب نيل محبة الله تعالى: قال الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ) [البقرة:٢٢٢].

ثانيًا: التوبة سبب نور القلب ومحو أثر الذنب: فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن المؤمن إذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر سقل منها قلبه، وإن زاد زادت حتى يعلق بها قلبه فذلك الران الذي ذكر الله في كتابه (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) (أخرجه الحاكم ٢ / ٥٦٢، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه).

ثالثًا: التوبة سبب لإغاثة الله تعالى لأصحابها بقطر السماء، وزيادة قوة قلوبهم وأجسامهم: قال الله تعالى على لسان هود عليه السلام: (وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ) [هود:٥٢].

رابعًا: التوبة تجعل المذنب كمن لا ذنب له: فعن أبي سعيد الأنصاري رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الندم توبة، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له» (صحيح الجامع للألباني ٦٦٧٩).

خامسًا: التوبة من صفات المؤمنين: (التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) [التوبة:١١٢].

سادسًا: التوبة سبب في فرح الرب سبحانه وتعالى فرحًا يليق بجلاله وعظمته سبحانه، كما تقدم ذكره. قال ابن القيم رحمه الله: «هذا الفرح له شأن لا ينبغي للعبد إهماله والإعراض عنه، ولا يطلع عليه إلا من له معرفة خاصة بالله وأسمائه وصفاته، وما يليق بعز جلاله» (مدارج السالكين ١/٢١٠، ط٢/ دار الكتاب العربي، تحقيق: فضيلة الشيخ حامد الفقي رحمه الله).

سابعًا: وبالجملة؛ فإن الله تعالى علّق الخير والفلاح بالتوبة، فلا سبيل إلى نيل خيرات الدنيا والآخرة إلا بها، قال سبحانه: (وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [النور:٣١].

وفي الختام أسال الله العظيم رب العرش الكريم بأسمائه وصفاته أن يرزقنا وإياكم والمسلمين الإخلاص والتوبة؛ إنه بكل جميل كفيل وهو حسبنا ونعم الوكيل.

درر البحار من ضعيف الأحاديث القصار

القسم الثاني

الحلقة الثانية عشرة

إعداد/ علي حشيش

١٣٤- ثَلَاثٌ مَنْ حَفِظَهُنَّ فَهُوَ وَلِيِّي حَقاً، ومنْ ضَيَّعَهُنَّ فَهُوَ عَدُوِّي حَقاً: الصَّلَاةُ والصيامُ والجَنَابَةُ.

الحديث لا يصح: أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٤٤٥/٩) (ح٨٩٥٦) عن أنس مرفوعًا لم يرو هذا الحديث عن حُميد إلا عدي بن الفضل تفرد به أسد بن موسى وآفته عدي بن الفضل، قال الحافظ في «التقريب» (١٧/٢): عدي بن الفضل التيمي أبو حاتم البصري: متروك.

١٣٥- «رَمَضَانُ بِالْمَدِينَةِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ رَمَضَانَ فِيمَا سِوَاهَا مِنَ الْبُلْدَانِ، وَجُمُعَةٌ بِالْمَدِينَةِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ جُمُعَةٍ فِيمَا سِوَاهَا مِنَ الْبُلْدَانِ».

الحديث لا يصح: أخرجه الطبراني في «الكبير» (٣٧٢/١) ح(١١٤٤) عن بلال بن الحارث مرفوعًا، وأورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٤٥٢٠/٤٧٣/٢) من حديث عبد الله بن كثير بن جعفر عن أبيه عن جده ثم قال: «هذا باطل والإسناد مظلم».

١٣٦- «مَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ بِمَكَّةَ فَصَامَ وَقَامَ مِنْهُ مَا تَيَسَّرَ لَهُ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ مِائَةَ أَلْفِ شَهْرِ رَمَضَانَ فِيمَا سِوَاهَا. وَكَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ عِتْقَ رَقَبَةٍ وَكُلِّ لَيْلَةٍ عِتْقَ رَقَبَةٍ وَكُلِّ يَوْمٍ حُمْلَانَ فَرَسٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَفِي كُلِّ يَوْمٍ حَسَنَةً وَفِي كُلِّ لَيْلَةٍ حَسَنَةً».

الحديث: لا يصح أخرجه ابن ماجه في «السنن» (١٠٤١/٢) ح(٣١١٧) من حديث عبد الرحيم بن زيد العَمِّيِّ عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعًا، قال الإمام ابن حبان في «المجروحين» (١٦١/٢): عبد الرحيم بن زيد العمِّي يروي عن أبيه العجائب، ونقل الذهبي في «الميزان» (٦٠٥/٢): عن الإمام يحيى بن معين قال: كذَّاب، وقال أبو زُرعة: واهٍ.

١٣٧- «إنما سُمِّي رمضانُ؛ لأنه يُرمِض الذنوبَ، وأنَّ فيه ثلاثَ ليالٍ: ليلةُ سبع عشرة، وليلة تسع عشرة، وليلة إحدى وعشرين، مَن فاتَتْه، فاتَه خيرٌ كثيرٌ، ومن لم يُغفر له في شهر رمضان ففي أيِّ شهر يُغْفَر له».

الحديث لا يصح، أورده الشوكاني في «الفوائد» كتاب الصيام (ص١٢٤) قال في الذيل: في إسناده زياد بن ميمون كذاب.

١٣٨- «اغْزُوا تَغْنَمُوا، وَصُومُوا تَصِحُّوا، وَسَافِرُوا تَسْتَغْنُوا».

الحديث لا يصح: أخرجه الطبراني في «الأوسط» (١٤٤/٩) (ح٨٣٠٨) من حديث أبي هريرة مرفوعًا وقال: لم يرو هذا الحديث عن سهيل بهذا اللفظ إلا زهير بن محمد، قلت: روى عنه محمد بن سليمان بن أبي داود قال ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١٤٥٩/٢٦٧/٧) سألت أبي عنه

فقال: «منكر الحديث»، وهناك علة خفية بينها الحافظ ابن رجب في «شرح علل الترمذي» (٦١٤/٢) قال: «وفصل الخطابي في حال روايات زهير أن أهل العراق يروون عنه أحاديث مستقيمة وما خُرِّج عنه في الصحيح فمن رواياتهم عنه وأهل الشام يروون عنه روايات منكرة». اهـ. وهذا الحديث منها لذا ضعف هذا الحديث الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٧٥/٣).

١٣٩- «إِنَّ الله أَوْحَى إلى الحفَظَة ألَا يَكْتُبوا عَلى صُوَّام عَبيدِي بعد العصر ذَنْبًا». عن أنس مرفوعًا.

الحديث لا يصح: أخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» (١٩٣/٢) وقال: «هذا الحديث لا يصح فيه إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن أيوب المخرمي قال الدارقطني ليس بثقة حدث عن قوم ثقات بأحاديث باطلة منها هذا الحديث وهو باطل». اهـ.

١٤٠- « مَن أَفْطَرَ علَى تَمْرةٍ مِن حَلال زِيدَ في صلاته أربعمائة صلاة».

الحديث لا يصح أخرجه ابن حبان في «المجروحين» (٢٤٣/٢) من حديث موسى بن عبد الله الطويل عن أنس مرفوعًا ثم قال: وموسى الطويل شيخ كان يزعم أنه سمع أنس بن مالك روى عنه أشياء موضوعة كان يضعها أو وضعت له فحدث بها لا يحل كتابة حديثه إلا على جهة التعجب. اهـ. وأورد هذا الحديث ابن الجوزي في «الموضوعات» (١٩٤/٢) وقال: هذا حديث لا يصح واستشهد بقول ابن حبان الذي أوردناه آنفًا.

١٤١- «إنَّ الله ليس بتاركٍ أحداً من المسلمين صَبيحةَ أولِ يومٍ مِن شهرِ رمضانَ إلا غفر له ».

الحديث لا يصح: أخرجه الخطيب البغدادي في «التاريخ» (٢٤٨٧/٩٠/٥) عن أنس بن مالك مرفوعًا، وأورده الشوكاني في «الفوائد» (ص٨٨) وقال: «رواه الخطيب عن أنس مرفوعًا ولا يصح وفي إسناده: كذاب ومتروك». اهـ. والحديث من طريق سلام الطويل عن زياد بن ميمون عن أنس.

قلت: الكذاب هو زياد بن ميمون كذبه الأئمة كما في «الميزان» (٢٩٦٧/٩٤/٢)، والمتروك سلام الطويل تركه الأئمة، قال البخاري في «الضعفاء الصغير» (١٥٢): «سلام بن سُليم السعدي الطويل: تركوه». اهـ.

١٤٢- «لا تقولوا رمضانَ، فإن رمضانَ اسمٌ مِنْ أسماءِ اللهِ تعالى، ولكن قولوا: شهر رمضان».

الحديث لا يصح، أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٥٢/٧) (١٩٨٤/٣١) عن أبي هريرة مرفوعًا وفيه نجيح أبو معشر المديني قال يحيى بن معين: ليس بشيء وأورده الشوكاني في «الفوائد» (ص٨٧)، والحديث له طرق واهية عن ابن عمر وعائشة بين المعلمي اليماني في «تحقيق الفوائد» أنها منقطعة وسندها مظلم، وقال: والحديث موضوع بلا ريب. اهـ.

قلت: والدليل على أنه منكر ما أخرجه البخاري (ح١٨٩٨)، ومسلم (ح١٠٧٩) من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا جاءَ رمضانُ فُتِحَتْ أبوابُ الجنة».



رمضان كريم

عمرة رمضان تعدل حجة

إعداد / د. حمدي طه

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، وبعدُ:

فمع قدوم شهر رمضان المعظم تهفو النفوس إلى زيارة بيت الله المحرم لأداء مناسك العمرة، وفي هذا العدد أحببت أن أذكر نفسي وإخواني من المعتمرين بالناحية العملية التطبيقية لصفة العمرة إجمالاً على أن أقوم بتفصيل القول في أحكام العمرة في العدد القادم

أولاً: معنى العمرة:

العمرة في اللغة الزيارة. وفي الشرع التعبد لله بالطواف بالبيت، وبالصفا والمروة، والحلق أو التقصير. (الشرح الممتع لابن عثيمين ٦/٧).

ثانيًا: فضل العمرة:

العمرة تمحو الذنوب، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة».. رواه مسلم، قال النووي:[هذا ظاهر في فضيلة العمرة، وأنها مكفرة للخطايا الواقعة بين العمرتين]. [شرح النووي على صحيح مسلم ١١٧/٩].

ثالثًا: استحباب الإكثار من الحج والعمرة:

يسن الإكثار من الحج والعمرة تطوعاً لما ثبت عن ابن عباس قال: قال رسول الله: (تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد). رواه الترمذي وصححه الألباني.

قال المباركفوري:قوله: « فإنهما ينفيان الفقر « أي يزيلانه، وهو يحتمل الفقر الظاهر بحصول غنى اليد، والفقر الباطن بحصول غنى القلب. (تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ٤٥٤/٣).

رابعًا: أفضل زمان تُؤدّى فيه العمرة:

اعلم يرحمني الله وإياك أن أفضل زمان تؤدى فيه العمرة شهر رمضان؛ لما ثبت عن ابن عباس قال: قال رسول الله: (عمرة في رمضان تعدل حجة) وفي رواية «عمرة في رمضان تعدل حجة معي «. [متفق عليه] يعني معه عليه الصلاة والسلام. (صفة العمرة لابن باز ص٢).

قال النووي: (أي تقوم مقامها في الثواب لا أنها تعدلها في كل شيء، فإنه لو كان عليه حجة فاعتمر في رمضان لا تجزئه عن الحجة). [شرح النووي على صحيح مسلم ٢/٩].

قال الشيخ للعثيمين رحمه الله: (وهذا يشمل أول رمضان وآخره، وأما تخصيص ليلة سبع وعشرين من رمضان بعمرة فهذا من البدع). (مجموع فتاوى ومقالات العلامة ابن عثيمين ٤٢/٢٠)، ثم بعد ذلك العمرة في ذي القعدة؛ لأن عمرته صلى الله عليه وسلم كلها وقعت في ذي القعدة، وقد قال الله سبحانه «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة» (صفة العمرة لابن باز ص٢).

خامسًا: آداب السفر إلى العمرة:

ليس للعمرة آداب خاصة بها وإنما هي آداب ينبغي على المرء مراعاتها في كل عبادة وكل سفر لطاعة الله تعالى.

١- يجب على الحاج أن يقصد بعمرته وجه الله والتقرب إليه، ويحذر كل الحذر من أن يقصد بعمرته الرياء و السمعة والمفاخرة؛ فإن ذلك من أقبح المقاصد وسبب لحبوط العمل وعدم قبوله.

٢- ينبغي أن يتخير لحجه وعمرته نفقة طيبة من مال حلال، فإن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا.

٣- ينبغي أن يكتب ما له وما عليه من الدَّيْن، ويُشهد على ذلك. وإن كان عنده للناس مظالم من نفس أو مال أو عرض ردّها إليهم أو تحللهم منها قبل سفره.

٤- يجب عليه المبادرة إلى التوبة النصوح من جميع الذنوب لقوله تعالى:«وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ»

٥- ينبغي له أيضاً أن يصحب في سفره الأخيار من أهل الطاعة والتقوى والفقه في الدين، ويحذر من صحبة السفهاء والفسّاق.

٦- ينبغي له أن يتعلم ما يُشرع له في حجه وعمرته، ويتفقه في ذلك، ويسأل عما أشكل عليه ليكون على بصيرة.

٧- إذا ركب دابته أو سيارته أو طائرته أو غيرها من المركوبات استحب له أن يُسمي الله سبحانه ويحمده ثم يكبر ثلاثاً، ويقول دعاء السفر.

٨- يحفظ لسانه من كثرة القيل والقال والخوض في ما لا يعنيه، والإفراط في المزاح. ويصون لسانه أيضاً من الكذب والغيبة والنميمة والسخرية بأصحابه وغيرهم من إخوانه المسلمين حتى لا يفسد عليه عبادته. (انظر في هذه الآداب صفة العمرة لابن باز ص٣،٤ بتصرف بالإضافة والحذف).

سادسا: أركان العمرة: ذَهَبَ جُمْهُورُ الْفُقَهَاءِ إِلَى أَنَّ أَرْكَانَ الْعُمْرَةِ ثَلَاثَةٌ هِيَ:

١- الإحرام: وَهُوَ نِيَّةُ الْعُمْرَةِ.

٢- الطواف بالبيت.

٣- السعي بين الصفا والمروة.فَيَحْرُمُ تَرْكُ شَيْءٍ مِنَ أَرْكَانِهَا الطَّوَافِ، أَوِ السَّعْيِ، وَلَا يَتَحَلَّلُ مِنْ إِحْرَامِ الْعُمْرَةِ حَتَّى يُتِمَّ مَا تَرَكَهُ. وإلا فسدت العمرة. (الموسوعة الفقهية الكويتية ٣١٨/٣٠ بتصرف).

سابعا: واجبات العمرة هي:

١- أن يكون الإحرام من الميقات المعتبَر له.

٢- الحلق أو التقصير. ومن ترك واجباً سواء كان ذلك سهواً أو جهلاً فإن عليه أن يجبره بدم عند جماهير العلماء. (شرح الزاد للحمد ٢٢٧/١١).

ثامنا: الإحرام:

إذا وصل (المعتمر) إلى المواقيت وهي:[ذو الحليفة: لأهل المدينة]، [الجحفة: لأهل الشام]، [قرن المنازل: لأهل نجد] [يلملم: لأهل اليمن]، [ذات عرق: لأهل العراق]. (فعل الآتي): يستحب لمن أراد الإحرام أن يتعاهد شاربه وأظفاره وعانته وإبطيه، فيأخذ ما تدعو الحاجة إلى أخذه؛ لئلا يحتاج إلى أخذ ذلك بعد الإحرام وهو مُحَرَّمٌ عليه.

واستُحب له أن يغتسل ويتطيب ويلبس الذكر إزاراً ورداءاً، ويستحب أن يكونا أبيضين نظيفين، ويستحب أن يحرم في نعلين بعد الفراغ من الغسل والتنظيف، ولبس ثياب الإحرام ينوي بقلبه الدخول في النسك، ويشرع له التلفظ بما نوى، والأفضل أن يكون التلفظ بذلك بعد استوائه على مركوبه من دابة أو سيارة أو غيرهما، وإن خاف المحرم أن لا يتمكن من أداء نسكه؛ لكونه مريضاً أو خائفاً من عدو ونحوه استُحب له أن يقول عند إحرامه: «فإن

حبسني حابس فمحلّي حيث حبستني»، وفائدة هذا الشرط أن المحرم إذا عرض له ما يمنعه من تمام نسكه من مرض أو صد عدو جاز له التحلل ولا شيء عليه. (صفة العمرة لابن باز ص٣ وما بعدها بتصرف).

محظورات الإحرام:

وهي ما يحرم على المحرم فعله.

ما يختص بالذكر:

١- لبس المخيط: وهو كل ما خيط على قياس عضو، أو على البدن كله، مثل: القميص، والسراويل، والجبة، والصدرية، وما أشبهها، وليس المراد بالمخيط ما فيه خياطة كما يفهمها كثير من العامة.(الشرح الممتع ١٢٦/٧بتصرف).

٢- تغطية الرأس بملاصق: فلا يجوز للمحرم أن يضع الغطاء سواءً كان عمامة أو كان طاقية ونحوها، وهذا بإجماع العلماء. أما استعمال المظلة ونحوها فلا شيء فيه. (شرح زاد المستقنع للشنقيطي ٤٢٤/٥).

ما يحرم على الذكر والأنثى:

١-إزالة شعر الرأس: (وألحق العلماء به بقية شعر البدن، وكذلك إزالة الظفر من اليدين أو الرجلين) (الشرح الممتع ١١٧/٧).

٢- استعمال الطيب في البدن أو الثوب: فَالْمُحْرِمُ - ذَكَرًا كَانَ أَوْ غَيْرَهُ - مَمْنُوعٌ مِنِ اسْتِعْمَال الطِّيبِ فِي إِزَارِهِ أَوْ رِدَائِهِ وَجَمِيعِ ثِيَابِهِ، وَفِرَاشِهِ وَنَعْلِهِ. (المَوْسُوعَة الفِقْهِيَة الكُوَيْتِيَة ١٧٩/١٢ بتصرف).

٣- عقد النكاح. فيحرم على المحرم عقد النكاح أثناء إحرامه(وليس فيه فدية).(العمرة لسليمان اللهيميد ص٣).

٤- الجماع في الفرج: إذا وقع الجماع قبل الطواف تفسد العمرة باتفاق أهل العلم.(نفس المصدر السابق ص٣).

٥- مقدمات الجماع: فيحرم على المحرم من التقبيل واللمس، ونحوهما.

٦- قتل الصيد: فيحرم على المحرم قتل وكذا الصيد ولو بدون قتل وكذا قطع أشجار الحرم.

ما يحرم على الأنثى:

- النقاب ولبس القفازين: يحرم على المرأة المحرمة لبس النقاب والقفازين، والنقاب هو ما تستعمله المرأة فتغطي وجهها، وتفتح فتحة بقدر العين لتنظر من خلالها، والقفازان: لباس يعمل لليدين. ولا يجوز للرجل المحرم أيضا لبسه لأنه في معنى المخيط. (الشرح الممتع ١٦٤/٧).

فدية هذه المحظورات:

اتَّفَقَ الْفُقَهَاءُ عَلَى أَنَّ الْمُحْرِمَ إِذَا جَنَى عَلَى إِحْرَامِهِ بِأَنْ حَلَقَ شَعْرَهُ، أَوْ قَلَّمَ أَظْفَارَهُ، أَوْ تَطَيَّبَ، أَوْ لَبِسَ مَخِيطًا، أَنَّهُ تَجِبُ عَلَيْهِ الْفِدْيَةُ وَهِيَ عَلَى التَّخْيِيرِ بَيْنَ خِصَالٍ ثَلاَثٍ: فَإِمَّا أَنْ يُهْدِيَ شَاةً، أَوْ يُطْعِمَ سِتَّةَ مَسَاكِينَ، أَوْ يَصُومَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ، كَمَا يَثْبُتُ التَّخْيِيرُ فِي كَفَّارَةِ قَتْل الصَّيْدِ فِي الْحَرَمِ. وَيُخَيَّرُ فِيهِ قَاتِلُهُ بَيْنَ ثَلاَثِ خِصَالٍ: فَإِمَّا أَنْ يُهْدِيَ مِثْل مَا قَتَلَهُ مِنَ النَّعَمِ لِفُقَرَاءِ الْحَرَمِ، إِنْ كَانَ الصَّيْدُ لَهُ مِثْلٌ مِنَ الإِبِل أَوِ الْبَقَرِ أَوِ الْغَنَمِ. أَوْ أَنْ يُقَوِّمَهُ بِالْمَال، وَيُقَوِّمَ الْمَال طَعَامًا، وَيَتَصَدَّقَ بِالطَّعَامِ عَلَى الْفُقَرَاءِ. (الموسوعة الفقهية الكويتية ٧١/١١ بتصرف).

فاعل المحظورات لا يخلو من ثلاث حالات:

١. أن يفعل المحظور بلا حاجة ولا عذر: فهذا عليه الإثم والفدية.

٢. أن يفعله لحاجة: فهذا ليس عليه إثم وعليه فدية.

٣. أن يفعله وهو معذور بجهل أو نسيان: فهذا لا إثم عليه ولا فدية (العمرة لسليمان اللهيميد ص٦).

تاسعاً: التلبية:

يستحب للمُحرم أن يُكثر من التلبية؛ لأنها الشعارُ القولي للنُسك ويرفع بها صوته. والمرأة تلبي سراً بقدر ما تسمع رفيقتها فإذا قَرُب من مكة سُنّ أن يغتسل لدخولها إن تيسر له ويستمر في التلبية في العمرة من الإحرام إلى أن يشرعَ في الطواف، فإذا وصل المسجد الحرامَ قدَّم رِجْلَه اليمنى لدخوله، و يقول الدعاء الوارد عند دخول المسجد. وليس هناك دعاء مخصوص عند رؤية الكعبة، (مناسك الحج و العمرة لابن عثيمين ص٣٣).

عاشراً: الطواف:

فإذا دخل المسجد يبدأ بالطواف ويكون على

وضوء، جاعلاً البيت عن يساره (سبع مرات)، ويستلم الحجر ويقبّله، والركن اليماني في كل شوط. عند استلام الركن اليماني لا يقل شيئاً، لا تكبير ولا غيره؛ لأن ذلك لم يرد. (العمرة لسليمان اللهيميد ص٥).

ويقول عند استلامه بسم الله والله أكبر أو يقول «الله أكبر». فإن شق التقبيل استلمه بيده أو بعصا أو نحوهما وقبّل ما استلمه به. فإن شق استلامه أشار إليه، وقال الله أكبر ولا يقبّل ما يُشير به. ولا يؤذي الناس بالمزاحمة. (صفة العمرة لابن باز ص١٦ بتصرف).

أما بقية الأشواط فإنه يكبر كلما حاذى الحجر اقتداءً بالنبي صلى الله عليه وسلم. وليس للطواف ذكر خاص، ولا في السعي ذكر مخصوص ولا دعاء مخصوص. وأما ما أحدثه بعض الناس من تخصيص كل شوط من الطواف أو السعي بأذكار مخصوصة أو أدعية مخصوصة فلا أصل له. (صفة العمرة لابن باز ص١٥ بتصرف)، إلا ما بين الركن اليماني والحجر الأسود يقول الوارد. (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار).

ويسن في الطواف الاضطباع، وهو أن يجعل وسط الرداء تحت إبطه الأيمن وطرفيه على عاتقه الأيسر. ويسن في الطواف الرمل في الأشواط الثلاثة الأولى. ويكون من الحجر إلى الحجر. ويحرم أن يطوف عريان. ويحرم على الحائض أن تطوف بالبيت.(العمرة لسليمان اللهيميد ص٥).

وبعد الانتهاء من الشوط السابع يصلي ركعتين خلف مقام إبراهيم يقرأ في الأولى سورة الكافرون والثانية بالإخلاص، ثم يرجع إلى الركن فيستلمه إن تيسر له ذلك.

ومن أخطاء بعض المعتمرين اعتقاد أن ركعتي الطواف لا تصح إلا خلف مقام إبراهيم، فيتزاحمون لأجل أدائها في هذا الموضع. ومن الأخطاء التمسح بمقام إبراهيم بعد أداء ركعتي الطواف..(نفس المصدر السابق ص١٠).

حادي عشر: السعي:

بعد أن ينتهي من ذلك يَبْدأُ السَّعْيَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ مِنَ الصَّفَا، فَيَرْقَى عَلَى الصَّفَا حَتَّى يَرَى الْكَعْبَةَ الْمُعَظَّمَةَ، فَيَقِفُ مُتَوَجِّهًا إلَيْهَا ويستحب أن يستقبل القبلة على الصفا ويحمد الله ويكبره ويقول: لا إله إلا الله والله أكبر لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحي ويميت وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده. ثم يدعو بما تيسر من الدعاء، رافعاً يديه ويكرر هذا الذكر والدعاء ثلاث مرات، ثُمَّ يَنْزِلُ مُتَوَجِّهًا إلَى الْمَرْوَةِ ماشياً حتى يأتي العلم الأول وهو العلم الأخضر فيسعى سعياً شديداً حتى يصل إلى العلم الثاني ويستحب له أن يقول بين العلمين: (اللهم اغفر وارحم فإنك أنت الأعز الأكرم). فإذا انتهى من ذلك مشى حتى يأتي المروة، فَيَقِفُ عَلَيْهَا يَذْكُرُ وَيَدْعُو بِمِثْلِ مَا فَعَلَ عَلَى الصَّفَا، ثُمَّ يَنْزِلُ فَيَفْعَلُ كَمَا فِي الشَّوْطِ الْأَوَّلِ حَتَّى يُتِمَّ سَبْعَةَ أَشْوَاطٍ تَنْتَهِي عَلَى الْمَرْوَةِ، وَلْيُكْثِرْ مِنَ الدُّعَاءِ وَالذِّكْرِ فِي سَعْيِهِ. واعلم أن أهل العلم قد أجمعوا على أن المرأة لا يستحب لها أن تسعى بين الميلين، ولا أن ترمل في الأشواط الثلاثة الأولى في الطواف. (أنظر في هذا الموسوعة الفقهية الكويتية ٢٥/١٦، شرح الزاد للحمد ١١/١٦٠).

ثاني عشر: الحلق أو التقصير:

ثُمَّ إذَا فَرَغَ الْمُعْتَمِرُ مِنْ سَعْيِهِ حَلَقَ رَأْسَهُ أَوْ قَصَّرَهُ، والحلق أفضل من التقصير، ولا بد في التقصير من تعميم الرأس، ولا يكفي تقصير بعضه كما أن حلق بعضه لا يكفي، والمرأة لا يُشرع لها إلا التقصير، والمشروع لها أن تأخذ من كل ضفيرة قد أنملة فأقل، والأنملة هي رأس الإصبع، ولا تأخذ المرأة زيادة على ذلك. فإذا فعل المحرم ما ذكر فقد تمت عمرته والحمد لله، وحل له كل شيء حرم عليه بالإحرام. و يطوف طواف الوداع عند خروجه من مكة (صفة العمرة لابن باز ص١٩ بتصرف).

تقبل الله منا ومنكم وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.



أحكام الاعتكاف



١٤٣٤

إعداد/ صلاح نجيب الدق

الحمدُ لله الذي أكمل لنا الدين، وأتم علينا النعمة، ورضي لنا الإسلام دينا، والصلاة والسلام على نبينا محمد الذي أرسله ربه هادياً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله تعالى بإذنه وسراجاً منيراً.

أما بعد: فإن الله تعالى فتح لعباده المؤمنين الكثير من أبواب الحسنات، لينهلوا منها وليرفعوا رصيدهم من الحسنات يوم يقوم الناس لرب العالمين، والاعتكاف بابٌ عظيمٌ من أبواب الأعمال الصالحة التي يستطيع المسلم أن يتقرب بها إلى الله تعالى، من أجل ذلك أحببت أن أُذكِر نفسي وإخواني الكرام بأحكام الاعتكاف، فأقول وبالله تعالى التوفيق:

معنى الاعتكاف:

الاعتكاف في اللغة:

لزومُ الشيء وحَبْسُ النفس عليه، براً كان أو غيره. ومنه قوله تعالى: «مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ» (الأنبياء: ٥٢) أي: لها ملازمون. (لسان العرب لابن منظور جـ ٤ صـ ٣٠٥٨).

الاعتكاف في الشرع:

لزومُ المسجد والإقامة فيه بنيَّة التعبد والتقرب لله تعالى على صفة مخصوصة من مسلم عاقل. قال الله تعالى: «وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ» [البقرة: ١٨٧]. (المغني لابن قدامة ج٤ ص٤٥٥).

الحكمة من الاعتكاف:

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: لَمَّا كَانَ صَلاحُ الْقَلْبِ وَاسْتِقَامَتُهُ عَلَى طَرِيقِ سَيْرِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، مُتَوَقِّفًا عَلَى جَمْعِيَّتِهِ عَلَى اللَّهِ وَلَمِّ شَعَثِهِ بِإِقْبَالِهِ بِالْكُلِّيَّةِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّ شَعَثَ الْقَلْبِ لَا يَلُمُّهُ إِلَّا الْإِقْبَالُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَكَانَ فُضُولُ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَفُضُولُ مُخَالَطَةِ الْأَنَامِ وَفُضُولُ الْكَلَامِ وَفُضُولُ الْمَنَامِ مِمَّا يَزِيدُهُ شَعَثًا، وَيُشَتِّتُهُ فِي كُلِّ وَادٍ وَيَقْطَعُهُ عَنْ سَيْرِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، أَوْ يُضْعِفُهُ أَوْ يَعُوقُهُ وَيُوقِفُهُ اقْتَضَتْ رَحْمَةُ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ بِعِبَادِهِ أَنْ شَرَعَ لَهُمْ مِنَ الصَّوْمِ مَا يُذْهِبُ فُضُولَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَيَسْتَفْرِغُ مِنَ الْقَلْبِ أَخْلَاطَ الشَّهَوَاتِ الْمُعَوِّقَةِ لَهُ عَنْ سَيْرِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَشَرَعَهُ بِقَدْرِ الْمَصْلَحَةِ بِحَيْثُ يَنْتَفِعُ بِهِ الْعَبْدُ فِي دُنْيَاهُ وَأُخْرَاهُ وَلَا يَضُرُّهُ وَلَا يَقْطَعُهُ عَنْ مَصَالِحِهِ الْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ وَشَرَعَ لَهُمُ الِاعْتِكَافَ الَّذِي مَقْصُودُهُ وَرُوحُهُ عُكُوفُ الْقَلْبِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَجَمْعِيَّتُهُ عَلَيْهِ وَالْخَلْوَةُ بِهِ وَالِانْقِطَاعُ عَنْ

الاشْتِغَال بِالْخَلْق وَالاشْتِغَالُ بِه وَحْدَهُ سُبْحَانَهُ بِحَيْثُ يَصِيرُ ذِكْرُهُ وَحُبُّهُ وَالإقْبَالُ بَدَلَهَا ، وَيَصِيرُ الْهَمّ كُلُّهُ بِه وَالخَطَرَاتُ كُلُّهَا بِذِكْرِه وَالتَّفَكُّر فِي تَحْصِيل مَرَاضِيه وَمَا يُقَرِّبُ مِنْهُ فَيَصِيرُ أُنْسُهُ بِاللَّهِ بَدَلًا عَنْ أُنْسِه بِالْخَلْق فَيُعِدُّهُ بِذَلِكَ لِأُنْسِه بِه يَوْمَ الْوَحْشَة فِي الْقُبُور حِينَ لَا أَنِيسَ لَهُ وَلَا مَا يَفْرَحُ بِه سِوَاهُ فَهَذَا مَقْصُودُ الاعْتِكَاف الْأَعْظَم. (زاد المعاد لابن القيم جـ ٢ صـ ٨٦ :٨٧) .

حُكْمُ الاعتكاف وأنواعه

الاعتكاف سُنَّة بإجماع العلماء، ولا يجبُ على المسلم إلا بالنذر. (بداية المجتهد لابن رشد جـ١صـ ٤٦٥). (المغني جـ٤صـ٤٥٦).

وعلى هذا ينقسم الاعتكاف إلى نوعين: اعتكاف مسنون، واعتكاف واجب، وسوف نتحدث عن تعريف كل منهما بإيجاز:

أولا: الاعتكاف المسنون:

هو ما تَطَوَّع به المسلمُ تقرباً إلى الله تعالى طلباً لثوابه واقتداءً بسُنة النبي صلى الله عليه وسلم ويتأكد ذلك في اعتكاف العشر الأواخر من رمضان.

عن أبي هريرة قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَعْتَكِف فِي كُلِّ رَمَضَانَ عَشْرَةَ أَيَّام فَلَمَّا كَانَ الْعَامُ الَّذِي قُبِضَ فِيه اعْتَكَفَ عِشْرِينَ يَوْمًا. (البخاري حديث ٢٠٤٤).

عن عبد الله بن عمر أَنَّ عُمَرَ بن الخطاب رضي الله عنهما سأل النبي صلى الله عليه وسلم قال: "كُنْتُ نَذَرْتُ فِي الْجَاهِلِيَّة أَنْ أَعْتَكِفَ لَيْلَةً فِي الْمَسْجِد الْحَرَام؟ قَالَ: أَوْفِ بِنَذْرِكَ" (البخاري حديث ٢٠٣٢، ومسلم حديث ١٦٥٦).

ثانياً: الاعتكاف الواجب:

هو ما أوجبه المسلم على نفسه، مثل أن يقول: لله عليَّ أن اعتكف كذا. (فقه السنة للسيد سابق بتصرف ج١ ص٥٤٠).

شروط الاعتكاف:

يُشترط لمن يعتكف ثلاثة شروط هي:

١) الإسلام.

٢) العقل.

٣) الطهارة من الحدث الأكبر.

(٤) نية التقرب إلى الله تعالى بالطاعات.

ركن الاعتكاف

المكث في المسجد.

لقوله تعالى: «وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ» (البقرة:١٨٧)، فلو صح الاعتكاف في غير المسجد، لم يخص تحريم المباشرة بالاعتكاف في المسجد؛ لأنها مُنَافية للاعتكاف، فعُلم أن المقصود هو بيان أن الاعتكاف إنما يكون في المساجد. (فقه السنة جـ١ صـ٥٤١: ٥٤٢).

وقت بداية الاعتكاف ونهايته في العشر الأواخر من رمضان:

يبدأ الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان قبل غروب شمس يوم العشرين من رمضان(أي ليلة الحادي والعشرين)، وينتهي الاعتكاف بغروب شمس آخر يوم من رمضان. (المجموع للنووي جـ٦ صـ٤٩١) (المغنى جـ٤ صـ٤٨٩: ٤٩١).

اعتكاف النساء:

يجوز اعتكاف النساء في المساجد:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: "أَنَّ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم ذَكَرَ أَنْ يَعْتَكِفَ الْعَشْرَ الْأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ فَاسْتَأْذَنَتْهُ عَائِشَةُ فَأَذِنَ لَهَا." (البخاري حديث ٢٠٤٥، ومسلم حديث ١١٧٢).

اعتكاف المرأة المستحاضة:

المرأة المستحاضة: هي التي ينزل عليها الدم باستمرار لمدة طويلة من الوقت ، أكثر من عادتها.

يجوز للمرأة المستحاضة أن تعتكف في المسجد بشرط أن تتحفظ من نزول الدم، صيانة لبيت الله تعالى. (المغنى لابن قدامه جـ٤ صـ٤٨٨، ونيل الأوطار للشوكاني جـ٤ صـ ٣٨٨).

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: "قَالَتْ اعْتَكَفَتْ مَعَ رَسُولِ اللَّه امْرَأَةٌ مِنْ أَزْوَاجِه مُسْتَحَاضَةٌ فَكَانَتْ تَرَى الْحُمْرَةَ وَالصُّفْرَةَ فَرُبَّمَا وَضَعْنَا الطَّسْتَ تَحْتَهَا وَهِيَ تُصَلِّي. (البخاري حديث ٢٠٣٧، ومسلم حديث ٢٤٧٦).

قَطْعُ اعتكاف التطوع:

إذا بدأ المسلم اعتكاف التطوع ثم خرج منه، فلا قضاء عليه إلا أن يشاء. قال الشافعي رحمه الله: كل عمل لك أن تدخل فيه، فإذا خرجت منه لا قضاء عليك إلا الحج و العمرة. (شرح السنة للبغوي جـ٦صـ٣٩٥).

آداب الاعتكاف:

(١) يُستَحبُ للمعتكف أن يشغل نفسه بالإكثار من صلاة التطوع وقيام الليل، وتلاوة القرآن الكريم.

(٢) الإكثار مِنْ ذكر الله تعالى، والاستغفار والدعاء والصلاة على النبي وذلك من خلال الأذكار الشرعية الثابتة عن النبي.

(٣) ينبغي للمعتكف أن يتجنب ما لا يعنيه من الأقوال والأفعال.

(٤) عدم الإكثار من الكلام فيما لا يفيد؛ لأن من كثر كلامه كثر سقطه.
(٥) ينبغي للمعتكف أن يتجنب الجدال والمراء.
(٦) ينبغي للمعتكف أن يمد يد المساعدة لجميع المعتكفين وإدارة الاعتكاف.
(٧) الالتزام بالهدوء، ومحاسن الأخلاق، وعدم إزعاج باقي المعتكفين برفع الصوت مما يسبب لهم عدم النوم، والخشوع في الصلاة.

ما يُباح في الاعتكاف:

ذكر أهل العلم أموراً يجوز للمعتكف أن يقوم بها أثناء الاعتكاف، يمكن أن نوجزها فيما يلي:
(١) اتخاذ خباء (خيمة صغيرة) داخل المسجد، يخلو فيه للعبادة:
عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ يَعْتَكِفُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ ، فَكُنْتُ أَضْرِبُ لَهُ خِبَاءً فَيُصَلِّي الصُّبْحَ ثُمَّ يَدْخُلُهُ. (البخاري حديث ٢٠٣٣).
(٢) الخروج من المسجد عند الحاجة:
كالخروج لإحضار الطعام والشراب أو الخروج لقضاء الحاجة أو الوضوء أو الاغتسال، بشرط ألا يتوفر ذلك داخل المسجد.
(٣) يجوز للمعتكف أن يستقبل زوجته داخل خبائه، وكذلك استقبال من يأتي لزيارته: بشرط ألا يترتب على ذلك فتنة.
عن عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ: أَنَّ صَفِيَّةَ،رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجَ النَّبِيِّ أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ تَزُورُهُ فِي اعْتِكَافِهِ فِي الْمَسْجِدِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ فَتَحَدَّثَتْ عِنْدَهُ سَاعَةً ثُمَّ قَامَتْ تَنْقَلِبُ (أي تعود إلى بيتها) وَقَامَ النَّبِيُّ لِيَقْلِبَهَا (أي ليوصلها إلى بيتها). (البخاري حديث ٢٠٣٥، ومسلم حديث ٢١٧٥).
(٤) يجوز للمعتكف الخِطبة، وعقد زواجه، أو شهود النكاح داخل المسجد:
وذلك لأن الاعتكاف عبادة، لا تحرم الطيبات، فلم تُحرِّم النكاح، كالصوم ولأن النكاح طاعة، وحضوره قربة، ومدته لا تتطاول، فيتشاغل به عن الاعتكاف، فلم يُكره فيه، كتشميت العاطس، ورد السلام.
(٥) يباح للمعتكف أن ينظف نفسه، ويتطيب ويلبس أحسن ثيابه، ويرجل شعره، ويُقلم أظافره.
عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ يُصْغِي إِلَيَّ رَأْسَهُ وَهُوَ مُجَاوِرٌ فِي الْمَسْجِدِ فَأُرَجِّلُهُ وَأَنَا حَائِضٌ. (البخاري حديث ٢٠٢٨).
(٦) يجوز للمعتكف عقد حلقة لتعليم تلاوة القرآن أو شهودها: وكذلك القراءة في كتب العلم وحضور مجالس العلماء ومناظرتهم، ونحو ذلك مما يتعدى نفعه للآخرين.
(٧) يجوز للمعتكف الصعود إلى سطح المسجد لأنه من جملته. (الأم للشافعي جـ٢ صـ ١٠٨/١٠٥، والمغني جـ٤ صـ٤٨٠- ٤٨٤)

مفسدات الاعتكاف:

ذكر أهل العلم مفسدات للاعتكاف، يمكن أن نوجزها فيما يلي :
(١) الخروج من المسجد بغير ضرورة : (المغني قدامة جـ٤ صـ ٤٦٥ - ٤٦٨)
عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: [السُّنَّةُ عَلَى الْمُعْتَكِفِ أَنْ لَا يَعُودَ مَرِيضًا وَلَا يَشْهَدَ جَنَازَةً وَلَا يَمَسَّ امْرَأَةً وَلَا يُبَاشِرَهَا وَلَا يَخْرُجَ لِحَاجَةٍ إِلَّا لِمَا لَا بُدَّ مِنْهُ وَلَا اعْتِكَافَ إِلَّا بِصَوْمٍ وَلَا اعْتِكَافَ إِلَّا فِي مَسْجِدٍ جَامِعٍ. (صحيح أبي داود للألباني حديث ٢١٦٠).
(٢) الجماع: أجمع أهل العلم أن المعتكف إذا جامع امرأته عامداً، فسد اعتكافه ولا قضاء عليه إلا أن يكون الاعتكاف واجباً عليه، وذلك لقوله تعالى: «وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ» (البقرة:١٨٧)، أما مباشرة الرجل لزوجته بشهوة من غير جماع، فحرام، فإن باشرها فأنزل، فسد اعتكافه، وإن لم ينزل لم يفسد. (المغني جـ٤ صـ ٤٧٣:٤٧٥).
(٣) الرِّدَّة عن الإسلام: إذا ارتد المعتكف، فسد اعتكافه، لقوله تعالى: « وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ » (الزمر:٦٥)، ولأنه خرج بالردة من كونه من أهل الاعتكاف. (المغني لابن قدامة جـ٤ صـ٤٧٦).
(٤) زوال العقل: بشرب الخمر أو جنون؛ لأن وجود العقل شرط للاعتكاف.
(٥) الجنابة أو النفاس: وذلك لزوال شرط الطهارة الكبرى. (المغني لابن قدامة جـ٤ صـ٤٨٧).

الاشتراط في الاعتكاف

إذا نَـذَرَ المسلم اعتكافاً متتابعاً واشترط الخروج منه عند حدوث عارض من مرض، أو عيادة مريض أو شهود جنازة أو لاشتغال بعلم أو لغرض آخر من أغراض الدنيا والآخرة، صح شرطه. (الأم للشافعي جـ٢ صـ ١٠٥، والمجموع للنووي جـ٦ صـ٥٣٧: ٥٣٨).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



رمضان شـ

الحمد لله الذي كتب علينا الصيام، وجعله من أركان الإسلام، وجعل له شهرًا ألا وهو رمضان، من صامه وقامه إيمانًا واحتسابًا غُفرت له الذنوب العظام، والصلاة والسلام على أفضل من صلى وصام.

جعل الله تعالى شهر رمضان لتطهير القلوب من الخطايا والعيوب وغفران الذنوب، فهيا نتوب ونغسل الذنوب، ونخلع العيوب، ونخرج من رمضان بإذن علام الغيوب كيوم ولدتنا أمهاتنا، فقد يكون رمضان الأخير في حياتك، فاغسل ذنوبك قبل مماتك.

الذنوب سواد في القلوب:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ العَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ» «كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ» [المطففين: ١٤] [سنن الترمذي (٣٣٣٤) وابن ماجه(٤٢٤٤) وحسنه الألباني].

وقوله: (نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ) أَيْ جُعِلَتْ فِي قَلْبِهِ أَثَرٌ قَلِيلٌ كَالنُّقْطَةِ شِبْهُ الوسخ في المرآة والسيف ونحوهما، وَيَخْتَلِفُ عَلَى حَسَبِ الْمَعْصِيَةِ وَقَدْرِهَا، وَالْحَمْلُ عَلَى الْحَقِيقَةِ أَوْلَى مِنْ جَعْلِهِ مِنْ بَابِ التَّمْثِيلِ وَالتَّشْبِيهِ؛ حَيْثُ قِيلَ شَبَّهَ الْقَلْبَ بِثَوْبٍ فِي غَايَةِ النَّقَاءِ وَالْبَيَاضِ وَالْمَعْصِيَةَ بِشَيْءٍ فِي غَايَةِ السَّوَادِ أَصَابَ ذَلِكَ الْأَبْيَضَ فَبِالضَّرُورَةِ أَنَّهُ يُذْهِبُ ذَلِكَ الْجَمَالَ مِنْهُ، وَكَذَلِكَ الْإِنْسَانُ إِذَا أَصَابَ الْمَعْصِيَةَ صَارَ كَأَنَّهُ حَصَلَ ذَلِكَ السَّوَادُ فِي ذَلِكَ الْبَيَاضِ .[تحفة الأحوذي (١٧٨/٩)].

فالسواد على القلب يمنع الإيمان ونور الإيمان من الخروج من القلب إلى الصدر، فتجد الصدر مظلماً، كما أن المشكاة تكون مظلمة إذا كانت الزجاجة سوداء، فتجد اليد تتحرك في ظلمة، والرجل تخطو في الظلمات، والعين تنظر في الظلمات، وهكذا يتحرك كبهيمة عمياء إذا كان القلب قد اسود من المعاصي. [سلسلة التفسير لمصطفى العدوى(٣٦/٥)].

احذر هذه الدعوات المستجابات:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَقَالَ: (آمِينَ آمِينَ آمِينَ) قيل: يَا رَسُول اللَّه إِنَّكَ حِينَ صَعِدْتَ الْمِنْبَرَ قُلْتَ:آمِينَ آمِينَ آمِينَ قَالَ: (إِنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِي فَقَالَ: مَنْ أَدْرَكَ شَهْرَ رَمَضَانَ وَلَمْ يُغفر لَهُ فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ قُلْ: آمِينَ فَقُلْتُ: آمِينَ وَمَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا فَلَمْ يَبَرَّهُمَا فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ قُلْ: آمِينَ فَقُلْتُ: آمِينَ وَمَنْ ذُكِرْتَ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ فأبعده الله قَل: آمين فقلت: آمين) [أخرجه الطبراني (٢٠٢٢) وابن حبان في صحيحه (٩٠٧) وقال الألباني: حسن صحيح].

- فهل تعجب أخي المؤمن أن جبريل ملك الوحي يدعو في هذا الحديث، ثم يؤمِّن الصادق صلى الله عليه وسلم على دعائه؟! وأي عجب ورمضان فرصة نادرة ثمينة فيها الرحمة والمغفرة، ودواعيها متيسرة، والأعوان عليها كثيرون، وعوامل الفساد محدودة، ومردة الشياطين مصفدون، ولله عتقاء في كل ليلة، وأبواب الجنة مفتحة، وأبواب النيران مغلقة، فمن لم تنله الرحمة مع كل ذلك فمتى تناله إذن ؟!، ولا يهلك على الله إلا هالك، ومن لم يكن أهلاً للمغفرة في هذا الموسم ففي أي وقت يتأهل لها؟! ومن خاض البحر اللجاج ولم يَطَّهَّرْ فماذا يطهره؟!

فضل رمضان:

١- تفتح أبواب الجنات:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

شهر المغفرة

إعداد/ صلاح عبد الخالق

عَلَيْه وَسَلَّمَ: « إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ، وَمَرَدَةُ الجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ، فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلكَ كُلَّ لَيْلَةٍ » [سنن الترمذي (٦٨٢) وابن ماجه(١٦٤٢) وصححه الألباني].

٢- تحصيل التقوى:

قال تعالى : « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ » [البقرة: ١٨٣].

قال الإمام الرازي : « بَيَّنَ سُبْحَانَهُ بِهَذَا الْكَلَامِ أَنَّ الصَّوْمَ يُورِثُ التَّقْوَى لِمَا فيه مِنَ انْكِسَارِ الشَّهْوَةِ وَانْقِمَاعِ الْهَوَى فَإِنَّهُ يَرْدَعُ عَنِ الْأَشَرِ وَالْبَطَرِ وَالْفَوَاحِشِ، ويهون لذات الدنيا ورئاستها، وَذَلِكَ لِأَنَّ الصَّوْمَ يَكْسِرُ شَهْوَةَ الْبَطْنِ وَالْفَرْجِ، فَمَنْ أَكْثَرَ الصَّوْمَ هَانَ عَلَيْهِ أَمْرُ هَذَيْنِ وَخَفَّتْ عَلَيْهِ مُؤْنَتُهُمَا، فَكَانَ ذَلِكَ رَادِعًا لَهُ عَنِ ارْتِكَابِ الْمَحَارِمِ وَالْفَوَاحِشِ، وَمُهَوِّنًا عَلَيْهِ أَمْرَ الرِّيَاسَةِ فِي الدُّنْيَا وَذَلِكَ جَامِعٌ لِأَسْبَابِ التَّقْوَى فَيَكُونُ مَعْنَى الْآيَةِ فَرَضْتُ عَلَيْكُمُ الصِّيَامَ لِتَكُونُوا بِهِ مِنَ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ أَثْنَيْتُ عَلَيْهِمْ فِي كِتَابِي. [مفاتيح الغيب (٢٤٠/٥)].

٣- مغفرة الذنوب:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ» [صحيح مسلم (٢٣٣)].

الكبائر كثيرة، وأحسن ما قيل فيها: الكبيرة هي الذنب الذي جعل الله عليه حداً في الدنيا، أو توعد عليه بلعنة أو غضب أو نار أو حبوط عمل، فما كان كذلك فهو من الكبائر، وغيره من الصغائر، وعلى الإنسان أن يجتنب الكبائر ويجتنب الصغائر، ولكن الصغائر إذا لم يصرّ عليها فإن الأعمال الصالحة تكفرها، قال الله عز وجل:« إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ » [النساء:٣١]، فالأعمال الصالحة تكفر الصغائر، ولكن إذا أصرّ على الصغائر فإنها تلحق بالكبائر؛ لأن الكبائر إذا حصل معها خوف من الله ووجل، وخوف من العقوبات التي تترتب عليها تتضاءل حتى تضمحل وتصبح لا وجود لها، والصغيرة إذا أصر عليها، واستهان بها، ولم يهتم بها الإنسان، ولم يخف من مغبتها؛ تعظم وتضخم حتى تلتحق بالكبائر. [شرح سنن أبي داود للشيخ عبد المحسن العباد (٣٥٠/١٥)].

اختلف العلماء - رحمهم الله - في قوله صلى الله عليه وسلم: (إذا اجتنبت الكبائر): هل معنى الحديث أن الصغائر تُكفَّر إذا اجتُنبت الكبائر؟ أو أنها لا تُكفَّر إلا بشرطين:- وهما الصلوات الخمس، واجتناب الكبائر، أو أن معنى الحديث أنها كفارة لما بينهن إلا الكبائر فلا تكفرها، وعلى هذا فيكون لتكفير السيئات الصغائر شرط واحد هو إقامة هذه الصلوات الخمس أو الجمعة إلى الجمعة أو رمضان إلى رمضان، وهذا هو المتبادر والله أعلم . [شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ١٤٩/١].

ومن أسباب المغفرة:

أولاً: المسارعة إلى التوبة:

قال تعالى:«وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ

﴿وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝١٣٥ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣- ١٣٦].

قال العلماء: التوبة واجبة من كل ذنب، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي، فلها ثلاثة شروط: أحدها: أن يقلع عن المعصية، والندم، والعزم ألا يعود إليها أبداً، فإن فُقد أحد الثلاثة لم تصح توبته. وإن كانت المعصية تتعلق بآدمي؛ فشروطها أربعة: هذه الثلاثة، وأن يبرأ من حق صاحبها: فإن كانت مالاً أو نحوه ردّه إليه، وإن كانت حد قذف ونحوه مكّنه منه أو طلب عفوه، وإن كانت غيبة استحله منها إن كان قد علم بهذه الغيبة، فلا بد أن تذهب إليه وتستحله، وإن لم يكن علم فلا تذهب إليه واستغفر له، وتحدث بمحاسنه في المجالس التي كنت تغتابه فيها؛ فإن الحسنات يذهبن السيئات، وهذا القول أصح وهو أن الغيبة إذا كان صاحبها لا يعلم بأنك اغتبته فإنه يكفي أن تذكره بمحاسنه في المجالس التي اغتبته فيها، وأن تستغفر له تقول: اللهم اغفر له كما جاء في الحديث: (كفارة من اغتبته أن تستغفر له) [شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (١٦/١)].

ثانيًا: صوم رمضان:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» [صحيح البخاري (١٩٠١)، صحيح مسلم (٧٥٩)] ، وزاد الإمام أحمد في مسنده (٢٢٧١٣) «وما تأخر» قال الحافظ ابن حجر:- قَدْ وَقَعَتْ هَذِهِ الزِّيَادَةُ أَيْضًا فِي حَدِيثِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ عِنْدَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ مِنْ وَجْهَيْنِ وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ . [فتح البَارِي(١٣٨/٤)].

- قوله (احتسابا) لأن الصوم إنما يكون لأجل التقرب إلى الله، والنية شرط في وقوعه قربة، أي: مؤمنا محتسبا، والمراد بالإيمان الاعتقاد بحق فرضية صومه، وبالاحتساب طلب الثواب من الله تعالى، وقال الخطابي: (احتسابا) أي عزيمة، وهو أن يصومه على معنى الرغبة في ثوابه طيبة نفسه بذلك غير مستثقل لصيامه، ولا مستطيل لأيامه. [فتح الباري(١٣٨/٤)].

إن المغفرة تستدعى سبق شيء يغفر والمتأخر من الذنوب لم يأت، فكيف يغفر، والجواب عن ذلك يأتي في قوله صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله عز وجل أنه قال في أهل بدر: (اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) ومحصل الجواب أنه قيل: إنه كناية عن حفظهم من الكبائر، فلا تقع منهم كبيرة بعد ذلك، وقيل: إن معناه أن ذنوبهم تقع مغفورة، وبهذا أجاب جماعة منهم الماوردي في الكلام على حديث صيام عرفة، وأنه يكفر سنتين سنة ماضية وسنة آتية. [فتح الباري(٢٩٦/٤)].

ثالثًا: قيام رمضان (صلاة التراويح):

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» [صحيح البخاري (٢٠٠٩) ومسلم (٧٥٩)].

رابعًا: قيام ليلة القدر:

- قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ [القدر: ١- ٥].

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» [صحيح البخاري (١٩٠١) ومسلم (٧٥٩)].

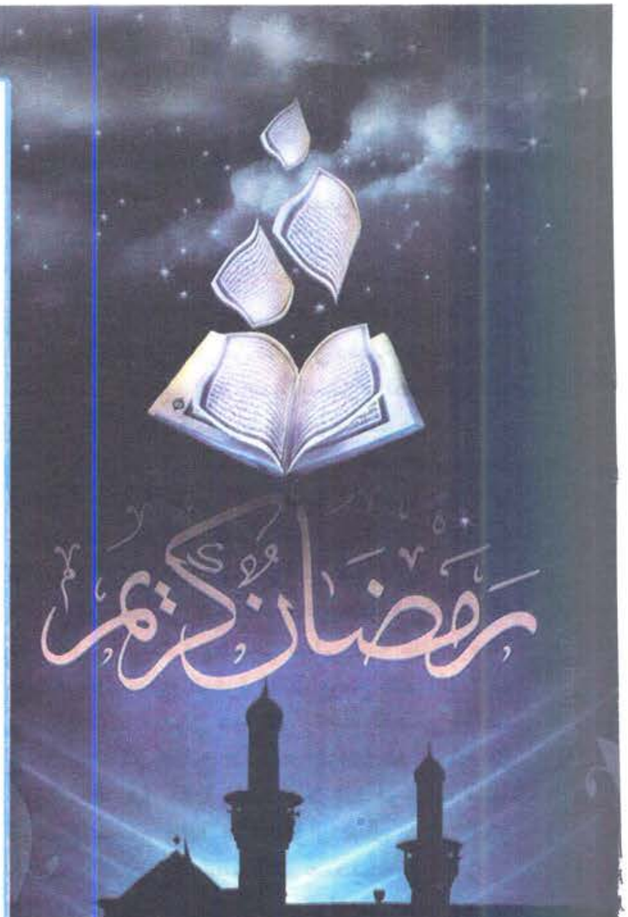
- عن عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: (يَا رَسُولَ الله أَرَأَيْتَ إِنْ وَافَقْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ مَا أَدْعُو؟ قَالَ: تَقُولِينَ: اللهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي) [الترمذي(٣٥١٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع(٤٤٢٣)].

والعفوّ من أسماء الله تعالى وهو الذي يتجاوز عن سيئات عباده، الماحي لآثارها عنهم، وهو يحب العفو، فيحب أن يعفو عن عباده، ويحب من عباده أن يعفو بعضهم عن بعض؛ فإذا عفا بعضهم عن بعض عاملهم بعفوه، وعفوه أحب إليه من عقوبته. [لطائف المعارف (٢٢٨)].

خامسًا: الدعاء:

ولكي يستجاب الدعاء في رمضان فله شروط، منها التضرع والخوف، والرجاء والخشوع، وأكل الحلال، وللدعاء أوقات يكون الغالب فيها الإجابة كليلة القدر ويوم عرفة وساعة الجمعة وجوف الليل.

رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ. والحمد لله رب العالمين.



بعض الأخطاء الشائعة في رمضان

إعداد/ عبد الرزاق السيد عيد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على إمام المرسلين وخاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعدُ:

فإن الله سبحانه وتعالى امتنَّ على هذه الأمة بشهر رمضان، فأنزل فيه القرآن، وفرض فيه الصيام، وجعل فيه ليلة هي خير من ألف شهر، فهو زمن التنافس في الطاعات، والمسارعة في الخيرات؛ تأسيًا برسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام ومن تبعهم بإحسان، لكن في الأزمنة المتأخرة وقعت أمور خالف الناس فيها ما كان عليه السلف الصالح في تعظيم رمضان، والتأدب بآداب الصيام والقيام، ومعظم هذه الأخطاء تعود إما إلى الغفلة عن فضل هذا الشهر ومكانته، أو الغفلة عن حكمة الصيام، أو الجهل ببعض أحكام الصيام والقيام ، أو غير ذلك ، فلندخل إلى المقصود بعون الله سبحانه وتعالى دون الإطالة في المقدمات، وبالله التوفيق:

١ - أخطاء تتعلق بالاستعداد للشهر الكريم واستقباله :

نتيجة لغفلة الناس عن مكانة الشهر ومنزلته العظيمة تتفاوت أخطاؤهم في استقباله على الصور الآتية :

أ- منهم من يجعله شهرًا للمسلسلات والأفلام والمسابقات، فيستعد له قبل حلوله بوقت مبكر في الاستوديوهات وغيرها.

ب- ومنهم من يجعله شهر الرَّواج لأنواع معينة من التجارة والصناعات كتجارة الياميش وصناعة الكنافة والقطايف وغيرها، ومنهم من يستعد بكميات كثيرة من المواد التموينية، وكأن الشهر شهر طعام وشراب وليس شهر صيام، ولسنا نحرِّم ما أحل الله معاذ الله، لكن المقصود النهي عن تلك المبالغات التي تتسم بالإسراف.

جـ- وكذلك من الأسر من يستعد بتحضير المواد التموينية في أول الشهر، وينشغل في آخر الشهر بالتسوق في شراء الملابس وغيرهما؛ استعدادًا للعيد، والمقصود أن الإسراف في الانشغال بهذه الأمور ممقوت.

د- وبعيدًا عن هؤلاء وهؤلاء من الناس من يستقبل الشهر بعدم اهتمام وعدم اكتراث؛ كأنه شهر من الشهور وقد أخطأ من لا يفرق

بين رمضان وغير رمضان، وأن يجعل يوم صومه كيوم فطره.

هـ- وهناك من يعرف للشهر فضله ومكانته ولكنه لا يستقبله بتوبة نصوح، وعزم أكيد على الاستقامة من أيامه ولياليه، بل يستقبله بفتور وعدم جدية وقلة نشاط.

٢- أخطاء متعلقة بالغفلة عن الحكمة من الشهر:

من الناس من يغفل عن الحكمة الشرعية في فرض الصيام والغاية السامية والتي أشار إليها ربنا عز وجل في قوله تعالى:« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » [البقرة: ١٨٣]، وقد أشار إليها النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه عبد ربه: «والصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابّه أحد أو قاتله فليقل إني صائم». متفق عليه، وكذلك قال صلى الله عليه وسلم: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه». رواه البخاري. فالصوم ليس مجرد الإمساك عن الطعام والشراب والجماع من الفجر حتى غروب الشمس كلا، فهناك حكم وأسرار، لكننا نرى كثيرًا من الناس تصوم بطنه ولا تصوم جوارحه، فيصوم عن الحلال المباح ، ويتناول ما حرم الله من المنكرات كقول الزور وفعل الزور فلا يتورع بلسانه عما حرم الله ولا يغض بصره كذلك عن المحرمات ويقع بيده ورجله في المحرمات بل ربما يفطر عند إفطاره على كسب محرم، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

- فتراه يصوم ولا يصلي فنقول له: أليس الذي فرض الصيام هو الذي فرض الصلاة؟ بل نقول له ما هو أبلغ من ذلك فالصيام قد يسقط عن الذي لا يستطيع بمرض حتى يبرئ، وقد يفطر المسافر حتى يعود، أما الصلاة لا تسقط عن أحد لا المسافر ولا المريض، بل يصلي بحسب استطاعته بل حتى من كان في مواجهة العدو في القتال، لا تسقط عنه الصلاة في جماعة ، وذلك لأهمية الصلاة ومكانتها العظيمة فهي رأس الأمر وعموده ، ففي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم : «بين الرجل وبين الشرك الكفر ، وترك الصلاة».

- أو تراه يصوم ويصلي في رمضان فقط، فلهذا نقول له: أليس الذي فرض الصلاة والصيام في رمضان هو الذي فرض الصلاة في كل يوم خمس مرات؟ وقال في كتابه الكريم: «حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى » [البقرة: ٢٣٨]، فلماذا هذا التناقض؟

٣- أخطاء متعلقة بالقيام :

أ- من الناس من يبحث عن الإمام الذي يصلي عشرين ركعة في أقل من عشرين دقيقة، وليس هذا حال النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة في رمضان ، بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم الليل حتى تتفطر قدماه من طول القيام ، فقالت له أمّنا عائشة رضي الله عنها: لِمَ تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبدًا شكورًا». متفق عليه.

وكان هذا في كل ليلة.. فعن حذيفة رضي الله عنه قال: صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت يركع عند المائة ثم مضى، قلت: يصلي بها في ركعة، فمضى فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مسترسلا إذا مرَّ بآية فيها تسبيح سبَّح، وإذا مرَّ بسؤال سأل . إلى آخر الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه.

والشاهد من الحديث الطويل الذي يصف صلاة النبي صلى الله عليه وسلم في قيام الليل، وقد أوردنا جزءًا منه فقط خشية الإطالة، الشاهد هو طول القيام، فقد صلى -صلى الله عليه وسلم- في ركعة واحدة، قراءة مسترسلة أي خاشعة متأملة، فكلما وردت آية دعاء دعا، أو وردت آية ذكر الجنة سأل الله الجنة، أو ذكر النار استعاذ بالله منها، وهكذا، وكان الركوع مثل القيام، والسجود كذلك.

والمقصود أننا لا نطالب الناس بصلاة كصلاة النبي صلى الله عليه وسلم في قيام الليل لكن نقول : سددوا وقاربوا واتقوا الله ما استطعتم... الذي يصلي عشرين ركعة أو أكثر في أقل من نصف ساعة فقد خالف السنة وفاته خير كثير، وإني أسأل هؤلاء سواء كانوا أئمة أو مأمومين كيف يخشون وكيف يطمئنون في الركوع والسجود والقيام والقراءة والركعة بقيامها وركوعها وسجودها، والجلوس بين السجدتين والقيام من الركوع لا تستغرق دقيقة وخير له أن يصلي إحدى عشرة ركعة مع الطمأنينة والخشوع، والله أعلم.

ب- من الناس من يهتم بليلة السابع والعشرين دون ما سواها، يظن كثيرًا من الناس أن ليلة القدر هي ليلة السابع والعشرين من رمضان، علمًا بأنه لم يأت دليل قاطع عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم يقطع بتحديد الليلة، وأقصى ما ورد هو التماسها في العشر الأواخر أو الوتر من العشر الأواخر. قال صلى الله عليه وسلم: «تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان». [متفق عليه]. وقال : «تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان». [رواه البخاري].

وفي جميع الأحوال فإن هدي النبي هو إحياء العشر الأواخر كما صحَّ عن أمنا عائشة رضي الله عنها قالت : «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر الأواخر من رمضان أحيا ليله، وأيقظ أهله، وجد وشد المئزر». [متفق عليه]، فالذي اجتهد في ليلة واحدة ظنًا منه أنها ليلة القدر، فقد حرم نفسه من خير كثير، والله أعلم، وخالف هدي النبي في إحياء العشر.

٤ - أخطاء متعلقة بالإفطار والسحور:

أ- كثير من الناس يقع في هذا الخطأ، والصواب من هدي النبي صلى الله عليه وسلم هو تعجيل الفطر وتأخير السحور وإليك الدليل:

عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «لا يزال الناس بخير ما عجلوا» . [متفق عليه].

فتأمل رحمك الله ربط النبي صلى الله عليه وسلم بين استقامة أمته على سنته وبين تعجيلها الفطر؛ لأنها اتبعته صلى الله عليه وسلم فإنه كان يعجل الفطر ، فعن أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر قبل أن يصلي (يعني المغرب) على رطبات، فإن لم تكن رطبات فتميرات؛ فإن لم تكن تميرات حسا حسوات من ماء. [رواه أبو داود والترمذي وقال : حديث حسن، وحسنه الألباني في الإرواء (٩٢٢)].

وفي رواية أخرى عنه قال : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قط صلى المغرب حتى يفطر ولو على شربة ماء . [رواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما وصححه الألباني في الترغيب].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إذا أقبل الليل من هاهنا، وأدبر النهار من هاهنا، وغربت الشمس؛ فقد أفطر الصائم». [متفق عليه].

فالأحاديث السابقة ترغبك في تعجيل الفطر.

ب- ومنهم من ينتظر المؤذن حتى ينتهي من الأذان ثم يبدأ في الإفطار ، ومنهم من ينتظر حتى يسمع المؤذن يقول : أشهد ألا إله إلا الله ، وكل ذلك ليس عليه دليل، والصواب أن يبدأ في الإفطار، من بداية الأذان، ولا ينشغل عن الدعاء عند الإفطار ولاعن متابعة المؤذن.

ج- ومن الناس من يبدأ الإفطار على السجائر، وينشغل عن الدعاء والذكر، ومنهم من يبدأ بالشيشة أو غير ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

د- أما تعجيل السحور:

من الناس من يتسحرون في وقت مبكر وينامون، وربما فاتتهم صلاة الفجر .

هـ- ومنهم من يترك السحور أصلاً ، وهذا قد فاتته بركة السحور فقد أخبر المعصوم بذلك فيما صح عنه : «تسحروا فإن في السحور بركة». [متفق عليه].

والأخطر من ذلك أنه وقع في مشابهة أهل الكتاب فإنهم لا يتسحرون ، قال صلى الله عليه وسلم : «فصل ما بين صيامنا وصيام أكلة أهل الكتاب أكلة السحر». [رواه مسلم].

٥ - أخطاء متعلقة بتضييع الأوقات

من الناس من يسهر الليل دون فائدة بجلوسه أمام التلفاز أو مع الإنترنت ، أو في جلسات السحر ، أو الوقوف في الشوارع وعلى النواصي أو اللهو واللعب بجميع صوره وأشكاله، ثم ينام النهار، فلا فجرًا صلى ولا ظهرًا، ولا عصرًا، ويقوم متأخرًا قرب الإفطار ، وهذا تفريط ما بعده تفريط، وقلب لحقائق الفطرة التي فطر الله الناس عليها، فكيف يذهب هذا لعمله إن كان من أصحاب العمل ، ولعله ينام في مكتبه ويعطل مصالح الناس ، وقد ساد الناس اعتقاد أن رمضان شهر كسل وخمول ، وما هو كذلك ، ولكن الناس أنفسهم يظلمون، بل تأملوا سيرة السابقين في رمضان وانتصاراتهم.

هذه بعض الأخطاء التي سمح المجال بها، وأنصح إخواني المسلمين بالحرص على تعلم أحكام الصيام وآدابه.

تقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال، والحمد لله رب العالمين.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

رمضان شهر الدعاء

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

من السنة الاجتهاد في العشر الأواخر

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره. [مسلم ١١٧٥].

رمضان شهر الإنفاق

عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْءٌ» [أخرجه الترمذي (٨٠٧) وصححه الألباني].

رمضان شهر التربية

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس الصيام من الأكل والشرب، إنما الصيام من اللغو والرفث، فإن سابك أحد أو جهل عليك فقل: إني صائم إني صائم» [أخرجه ابن خزيمة وغيره وصححه الألباني في صحيح الجامع: ١٠٨٢]

رمضان شهر العتق من النار

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ، وَمَرَدَةُ الجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ، فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ» [سنن الترمذي (٦٨٢) وابن ماجه (١٦٤٢) وصححه الألباني].

حكم من أكل ناسيًا

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من أكل أو شرب ناسيًا فلا يفطر فإنما هو رزق رزقه الله». [سنن الترمذي ٧٢١ وصححه الألباني].

إعداد: علاء خضر

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان:

الإكثار من العبادة

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ. [أخرجه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١)].

صيام رمضان برؤية الهلال

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ، فَإِنْ غُبِّيَ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلاثِينَ» [أخرجه البخاري (١٩٠٩) ومسلم (١٠٨١)].

تعجيل الإفطار من سنن الأنبياء

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنا معشر الأنبياء أمرنا أن نعجّل إفطارنا، ونؤخر سحورنا، ونضع أيماننا على شمائلنا في الصلاة» [صحيح الجامع ٢٢٨٦].

من حرم ليلة القدر حُرم الخير كله

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخل رمضان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن هذا الشهر قد حضركم، وفيه ليلة خير من ألف شهر، من حُرمها فقد حُرم الخير كله، ولا يُحرم خيرها إلا كل محروم». يعني ليلة القدر. [أخرجه ابن ماجه (١٦٤٤) وصححه الألباني].

دعاء ليلة القدر

عن عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله، أرأيت إن علمتُ أي ليلة ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال: «قولي: اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عني». [أخرجه الترمذي ٣٥١٣ وصححه الألباني].

الكتب السماوية نزلت في رمضان

عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أُنْزِلَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَتْ التَّوْرَاةُ لِسِتٍّ مَضَيْنَ مِنْ رَمَضَانَ، وَالْإِنْجِيلُ لِثَلَاثَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَ الْفُرْقَانُ لِأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ» [مسند أحمد ١٧٠٢٥ وحسنه الألباني في صحيح الجامع ١٤٩٧].



قيام الليل دأب الصالحين

إعداد/ د/ أحمد فريد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أطيب المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فمن فضل الله عز وجل علينا وعلى الناس أن جعل شهر رمضان موسمًا للطاعات والعبادات؛ فكما أوجب الله علينا صيام شهر رمضان، فقال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (سورة البقرة: آية ١٨٣).

و(كتب) من صيغ الوجوب، وقال عز وجل أيضًا: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ (سورة البقرة: ١٨٥)، وظاهر الأمر الوجوب.

كما قال صلى الله عليه وسلم: «من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه» [أخرجه البخاري (٣٧) واللفظ له، ومسلم (٧٥٩)].

فالمسلمون في شهر رمضان مشغولون بالصيام وفي ليله بالقيام، بل جعل النبي صلى الله عليه وسلم قيام ليلة واحدة هي ليلة القدر سببًا للمغفرة، فقال صلى الله عليه وسلم: «من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه» [أخرجه البخاري (١٩٠١) ومسلم (٧٥٩)].

وكما رغب النبي صلى الله عليه وسلم في قيام رمضان بالقول، فقد رغب في قيامه بالفعل، وصلى ليلة في المسجد النبوي فصلى بصلاته ناس، ثم صلى ليلة ثانية فصلى بصلاته ناس، وفي الليلة الثالثة أو الرابعة ضاق المسجد بأهله، فلم يخرج إليهم النبي صلى الله عليه وسلم وأخبرهم أنه لم يَخْفَ عليه مكانهم، ولكنه خشي أن يفرض عليهم. [صحيح البخاري ٩٢٤].

ولما كانت الدولة العمرية خرج عمر رضي الله عنه، فمر بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم فرأى الرجل يصلي وحده، والرجل يصلي بصلاته الرجل، والرجل

يصلي فيصلي بصلاته الرهط، فقال: لو جمعتهم على قارئ واحد لكان أعجب، فجمعهم على أبي بن كعب رضي الله عنه، ثم كان أبي بن كعب يتناوب الصلاة مع تميم الداري رضي الله عنهما.

فمر عمر رضي الله عنه والناس يصلون بصلاة إمامهم فقال: نعمت البدعة هذه والتي ينامون عنها أفضل. أخرجه البخاري.

ولم يقصد رضي الله عنها أنها بدعة في الدين؛ لأن كل بدعة ضلالة؛ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم، ولكنه أراد أنها بدعة من حيث اللغة.

فقد خشي النبي صلى الله عليه وسلم من استمراره على القيام بالناس في رمضان من أن يُفرَض عليهم قيام رمضان في المساجد، وبعد ذلك جمع عمر الناس على إمام واحد، وأجمع الصحابة على فعل عمر رضي الله عنه وهو من الخلفاء الراشدين المهديين الذين هم أعلم الناس بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ» [سنن الترمذي ٢٦٧٦ وصححه الألباني]، ولم يقل صلى الله عليه وسلم عضوا عليهما.

وبعد وفاة عمر رضي الله عنه مر علي بن أبي طالب رضي الله عنه بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم وهم يصلون صلاة التراويح في رمضان فقال: «نوَّر الله قبر عمر كما نوَّر مساجد المسلمين في رمضان». واستمر على ذلك عمل الأمة إلى يومنا هذا، وهذا إجماع على صحة فعل عمر رضي الله عنه.

الصالحون يقومون العام كله ونحن نتدرب في رمضان على أخلاق الصالحين:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «عليكم بقيام الليل؛ فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلى ربكم ومنهاة عن الإثم ومطردة للداء عن الجسد» [أخرجه الحاكم في المستدرك وحسنه الألباني].

قال الله تعالى في وصف المحسنين: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٥، ١٧].

قال في وصف المحسنين: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٧، ١٨].

كيفية صلاة النبي صلى الله عليه وسلم وكم كان يصلي من الليل؟

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «إن رجلًا قال يا رسول الله، كيف صلاة الليل؟ قال: «مثنى، مثنى، فإذا خفت الصبح فأوتر بواحدة» [البخاري (١١٣٧) ومسلم (٧٤٩)].

قال الحافظ في الفتح: أما حديث ابن عمر رضي الله عنهما فهو الأفضل في حق الأمة؛ لأنه أجاب به السائل، وقد صحَّ عنه صلى الله عليه وسلم الفصل والوصل.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة، منها الوتر وركعتا الفجر» [البخاري(١١٤٠) ومسلم (٢٧٣٧)].

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي ما بين أن يفرغ من صلاة العشاء إلى الفجر إحدى عشرة ركعة، يسلم بين كل ركعتين ويوتر بواحدة».[البخاري (١١٢٣)، ومسلم (٢٧٣٦)].

حكم قيام الليل:

قال ابن عبد البر: شذ بعض التابعين فأوجب قيام الليل ولو قدر حلب الشاة، والذي عليه جماعة العلماء أنه مندوب إليه، ونقل الترمذي عن إسحاق بن راهويه أنه قال: إنما قيام الليل على أصحاب القرآن، وهذا يخص ما نُقل عن الحسن وهو أقرب

وليس فيه التصريح بالوجوب أيضًا.

الأسباب المعينة على قيام الليل:

اعلم أن قيام الليل عسير على الخلق إلا من وفقه الله عز وجل للقيام، والأسباب الميسرة له الظاهرة والباطنة سبعة.

فأما الظاهرة فأربعة:

الأول: أن لا يكثر الأكل، فيكثر الشرب فيغلبه النوم، كما قال بعضهم: لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرًا.

الثانية: أن لا يتعب نفسه بالنهار في الأعمال التي تعيا بها الجوارح، وتضعف بها الأعصاب، فإن ذلك أيضا مجلبة للنوم.

الثالث: أن ينام القيلولة بالنهار للاستعانة بها على قيام الليل.

الرابعة: أن لا يكثر من الأوزار بالنهار، فإن ذلك مما يقسي القلب، ويحول بينه وبين أسباب الرحمة.

والملوك لا يسمحون للخلوة بهم ومناجاتهم إلا أهل طاعتهم وودادهم والإخلاص لهم.

قالوا لابن مسعود رضي الله عنه: لا نستطيع قيام الليل؟ فقال: أبعدتكم الذنوب. وقال رجل للحسن: لا أستطيع قيام الليل فصف لي دواء؟ قال: لا تعصه بالنهار وهو يقيمك بين يديه بالليل.

وقال الثوري: حُرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أصبته.

وكان الحسن رحمه الله إذا دخل السوق فسمع لغطهم ولغوهم يقول: أظن أن ليل هؤلاء ليل سوء. فالذنوب تورث قساوة القلب، وتمنع من قيام الليل، وأخصها بالتأثير تناول الحرام، وتؤثر اللقمة الحلال في تصفية القلب وتحريكه إلى الخير ما لا يؤثر غيرها، ويعرف ذلك أهل المراقبة للقلوب بالتجربة بعد شهادة الشرع له، ولذلك قال بعضهم: كم من أكلة منعت قيام ليلة! وكم من نظرة منعت قراءة سورة! وإن العبد ليأكل أكلة أو يفعل فعلة فيحرم بها قيام سنة.

الميسرات الباطنة:

الأول: سلامة القلب عن البدع والحقد على المسلمين، وعن فضول هموم الدنيا، فالمستغرق الهم بتدبير الدنيا لا يتيسر له القيام وإن قام فلا يتفكر في صلاته إلا في مهماته ولا يجول إلا في وساوسه.

الثاني: خوف غالب يلزم القلب مع قصر الأمل، فان العبد إذا تفكر في دركات جهنم وأهوال الآخرة طار نومه.

قال عبد الله بن رواحة: إن عبد الله إذا ذُكرت الجنة طال شوقه، وإذا ذكرت النار طار نومه.

قال ابن المبارك رحمه الله:

إذا ما الليل أظلم كابدوه
فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف نومهم فقاموا
وأهل الأمن في الدنيا هجوع

الثالث: أن يعرف فضل قيام الليل كما أوردنا من الآيات والأخبار حتى يستحكم به رجاؤه وشوقه إلى ثوابه فيهيجه الشوق لطلب المزيد والرغبة في درجات الجنات.

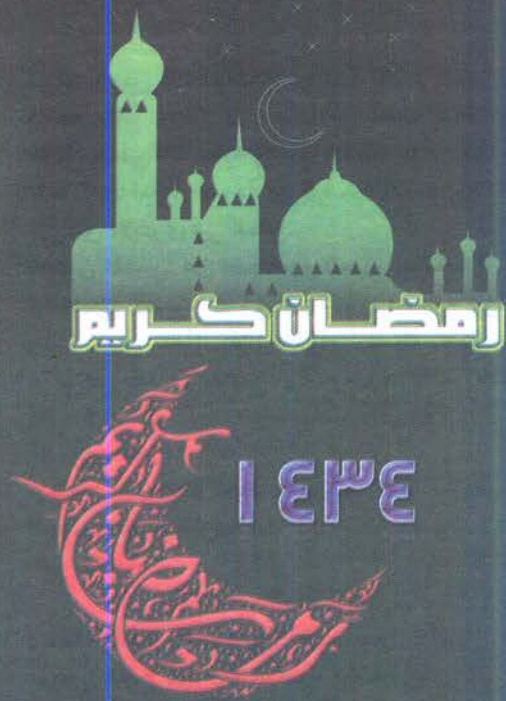
الآثار في قيام الليل:

كان ابن مسعود رضي الله عنه إذا هدأت العيون قام فيُسمَع له دوي كدوي النحل حتى يصبح.

قال ابن المنكدر: «ما بقي من لذات الدنيا إلا ثلاث: قيام الليل، ولقاء الإخوان وصلاة الجماعة».

وقال أبو سليمان: «أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم، ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا».

اللهم أعنا على صيام رمضان وقيامه وتقبل منا ذلك، والحمد لله رب العالمين.



رمضان وإحياء خُلق الأخوة

إعداد/ متولي البراجيلي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعدُ:

نعيش واقعًا مؤلمًا ومحزنًا إزاء تفرّق الأمة، وفشو المعاصي وكثرة أهلها، وتعاون دعاة الفساد وتقطيع الأواصر بالإثم والعدوان.

إن المخالفة الصريحة للآداب الإسلامية والأخلاق الشرعية، صارت ديدن بعضنا، كل فريق يرى أن الحق معه وليس مع سواه إلا الباطل، لذا فهم يتبعون عورات الآخرين ويسيئون الظن بإخوانهم.

فما العمل؟

لاشك أن الداء عضال ومتمكن منّا، وخطوات العلاج كثيرة، وأحد أهم هذه الخطوات، هو إحياء خُلق الأخوة بين الناس.

فهل يكون لنا مع قدوم شهر رمضان وقفة مع هذه الأخوة المفتقدة، التي لم ينجُ منها الكثير منا؛ دعاة، وطلبة علم، وعوام.

باعتبار أننا في رمضان نكون أقرب إلى الله تعالى وإلى كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، نستشعر الأُخوة بين الصائمين والقائمين؟

إن الأخوة بين المسلمين أصل من أصول الشرع، ونعمة امتن الله بها على الأمة، قال الله تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا) [آل عمران: ١٠٣].

إنه عقد عقده الله بقوله: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) [الحجرات: ١٠]، حتى بعد قتل النفس وهو من أكبر الكبائر- يقول الله تعالى: (فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ) [البقرة: ١٧٨].

وهذه الأخوة المأمور بها في الدنيا، تصحب هؤلاء المتآخين إلى الجنة، قال الله تعالى: (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ) [الحجر: ٤٧].

هذه الأخوة لها آثار متعددة وجوانب مختلفة، نحاول أن نلقي الضوء على بعض منها:

أولًا: المحبة في الله:

عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقْذَف في النار». [متفق عليه].

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.. ذكر منهم: ورجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه..». [متفق عليه]، أي اجتمعا على حب الله وافترقا على حب الله، فكان سبب اجتماعهما حب الله، واستمر على ذلك حتى تفرقا من مجلسهما، وهما صادقان في حب كل واحد منهما صاحبه لله تعالى حال اجتماعهما وافتراقهما». [شرح النووي على مسلم ١٢١/٧].

قال الحافظ ابن حجر: «والمراد أنهما داما على المحبة الدينية ولم يقطعاها بعارض دنيوي، سواء اجتمعا حقيقةً أم لا، حتى فرّق بينهما الموت». [فتح الباري ١٤٥/٢].

فالحب في الله تعالى دين، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أوثق عرى الإيمان: الموالاة في الله، والمعادة في الله، والحب في الله، والبغض في الله» [مستدرك الحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع].

فالحب في الله سببه الإيمان والطاعة، فكلما ازداد الإنسان من طاعة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم كلما ازدادت موجبات محبته.

ثانيًا: النصيحة لكل مسلم:

وهذا من أعظم آثار المحبة، فعن جرير بن عبد الله قال: بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم. [متفق عليه].

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أهمية النصيحة كما في حديث تميم الداري رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الدين النصيحة» ثلاثًا. قلنا: لمن؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم. [صحيح مسلم].

والحديث يبرز أهمية النصيحة، فقد استخدم النبي صلى الله عليه وسلم أسلوب القصر في قوله: الدين النصيحة، أي كأنه قصد الدين في النصيحة، وهذا من باب التغليب والتنبيه، كقوله صلى الله عليه وسلم: «الحج عرفة» أخرجه البخاري؛ لبيان أهمية الوقوف بعرفة، برغم بقية الأركان الأخرى في الحج.

فيكون المعنى: من أهم أمور الدين النصيحة.

والنصح لأخيك ينبغي أن يكون بحكمة ورفق، وأن تكون سرًا، فإن المؤمن يستر وينصح، والمنافق يهتك ويفضح، والله سبحانه في كتابه قال: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾ [النحل: ١٢٥].

فلم يقل الموعظة فقط، وإنما وصفها بالحسنة، فمعنى ذلك أن الموعظة قد تكون حسنة، وقد تكون غير حسنة.

ثالثًا: عدم تتبع العورات:

وهذا يشيع المحبة والأخوة بين الناس، فلا ينبغي تتبع عورات الناس، وإنما يُوكل أمرهم إلى خالقهم سبحانه وتعالى، وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فنادى بصوت رفيع، فقال: يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفضِ الإيمان إلى قلبه! لا تؤذوا المسلمين، ولا تعيروهم، ولا تتبعوا عوراتهم، فإن من تتبع عورة أخيه المسلم، تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله! [صحيح سنن الترمذي وغيره].

وعن مسلمة بن مخلد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من علم عن أخيه سيئة فسترها، ستره الله عز وجل بها يوم القيامة». [مسند أحمد وهو حديث صحيح].

فكشف أستار المسلمين فيه مفاسد عظيمة، منها أن العاصي بعد كشفه قد يداوم على المعصية، ولن يتورع عنها أو يستحي منها، فيكون هذا دافعًا له على استدامة المعاصي.

لذا قال النبي صلى الله عليه وسلم (في الحديث الذي رواه معاوية رضي الله عنه): «إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم». فقال أبو الدرداء رضي الله عنه: كلمة سمعها معاوية من رسول الله صلى الله عليه وسلم نفعه الله تعالى بها. [صحيح سنن أبي داود].

رابعًا: الإنصاف:

ومما يقوّي أواصر الأخوة أن تُنْصفَ الناس ولو من نفسك، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: ١٣٥].

فالإنسان يعترف بالحق ولو على نفسه، وبما أخطأ فيه، ولا شك أن ذلك يرفع من قدره عند الله تعالى وعند العباد، فليس لأحد العصمة إلا الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم-، وفي حديث أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون». [صحيح سنن الترمذي وغيره].

وفي صحيح البخاري عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما قال: «ثلاثة من جمعهن جمع الإيمان: الإنصاف من نفسه، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار».

قال أبو الزناد: جمع عمَّار في هذه الألفاظ الثلاثة الخير كله، لأنك إذا أنصفت من نفسك فقد بلغت الغاية بينك وبين خالقك، وبينك وبين الناس، ولم تضيّع شيئًا. [شرح صحيح البخاري لابن بطال ١/٨٤].

خامسًا: التواضع ولين الجانب وترك الكبر:

وهذا خُلُق يشيع المحبة، ويقوّي أواصر الأخوة بين الناس، فالمتواضع محبوب، يقبل على الناس لا يفرّق بين غنيهم وفقيرهم، كبيرهم وصغيرهم، يسمع من الجميع، ويلين جانبه لهم، ويسعهم خُلقه، ويبسط لهم وجهه وما يستطيعه من جاه.

أما المتكبر فيبغضه الناس، ويبغضه الله قبل الناس، ومن سمات المتكبر: مترفعًا بنفسه، محتقرًا من هو دونه كائنًا من كان، لا يرى كغيره عليه حقًا، ولا يقبل النصيحة من أحد؛ لأنه يرى أنه أرفع منهم قدرًا، فقوله هو القول، وفعله هو الفعل.

وفي حديث عياض بن حمار رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله أوحى إليَّ: أن تواضعوا؛ حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد». [صحيح مسلم].

وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر». [صحيح مسلم].

سادسًا: المودة وإفشاء السلام:

ولقد أمر الشرع بالود، وبكل ما يحفظ الود بين الناس، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن المودة سبب لدخول الجنة، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم». [صحيح مسلم].

وقد بيَّن لنا النبي صلى الله عليه وسلم الكثير من الأسباب الجالبة للمودة بين العباد، ومن ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «حق المسلم على المسلم ست. قيل: ما هنَّ يا رسول الله؟ قال: «إذا لقيته فسلِّم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمِّته، وإذا مرض فعُدْه، وإذا مات فاتبعه». [صحيح مسلم].

ومن ذلك: طلاقة الوجه، والابتسامة في وجه إخوانك، ففي حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تبسمك في وجه أخيك لك صدقة». [صحيح سنن الترمذي وغيره].

سابعًا: الإيثار:

وهو خُلق صحابة النبي صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى في الأنصار: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

٢- وسبب نزول هذه الآية - كما ورد في الصحيحين- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلًا أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فَبَعَثَ إِلَى نِسَائِهِ (أي ليضيفه)، فَقُلْنَ مَا مَعَنَا إِلَّا الْمَاءُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ يَضُمُّ أَوْ يُضِيفُ هَذَا؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: أَنَا، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى امْرَأَتِهِ، فَقَالَ: أَكْرِمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقَالَتْ: مَا عِنْدَنَا إِلَّا قُوتُ صِبْيَانِي، فَقَالَ: هَيِّئِي طَعَامَكِ وَأَصْبِحِي سِرَاجَكِ وَنَوِّمِي صِبْيَانَكِ إِذَا أَرَادُوا عَشَاءً، فَهَيَّأَتْ طَعَامَهَا وَأَصْبَحَتْ سِرَاجَهَا، وَنَوَّمَتْ صِبْيَانَهَا، ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأَطْفَأَتْهُ فَجَعَلَا يُرِيَانِهِ أَنَّهُمَا يَأْكُلَانِ فَبَاتَا طَاوِيَيْنِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى رَسُولِ

اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: ضَحِكَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ أَوْ عَجِبَ مِنْ فَعَالِكُمَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ: (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ). [متفق عليه].

فضربوا أعظم الأمثلة في تاريخ البشرية في الإيثار، فآثروا إخوانهم على أنفسهم مع حاجتهم لما قدموه لإخوانهم.

فعن أَنس قال: لَمَّا قدمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ أَتَاهُ الْمُهَاجِرُونَ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا رَأَيْنَا قَوْمًا أَبْذَلَ مِنْ كَثِيرٍ وَلَا أَحْسَنَ مُوَاسَاةً مِنْ قَلِيلٍ مِنْ قَوْمٍ نَزَلْنَا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ؛ لَقَدْ كَفَوْنَا الْمُؤْنَةَ، وَأَشْرَكُونَا فِي الْمَهْنَأِ، حَتَّى لَقَدْ خِفْنَا أَنْ يَذْهَبُوا بِالْأَجْرِ كُلِّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا، مَا دَعَوْتُمُ اللَّهَ لَهُمْ وَأَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِمْ. [صحيح سنن الترمذي].

فعن أنس رضي الله عنه، عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: لَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ آخَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، فَقَالَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ: إِنِّي أَكْثَرُ الْأَنْصَارِ مَالًا، فَأَقْسِمُ لَكَ نِصْفَ مَالِي، وَانْظُرْ أَيَّ زَوْجَتَيَّ هَوِيتَ، نَزَلْتُ لَكَ عَنْهَا فَإِذَا حَلَّتْ تَزَوَّجْتَهَا، قَالَ: فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: لَا حَاجَةَ لِي فِي ذَلِكَ، هَلْ مِنْ سُوقٍ فِيهِ تِجَارَةٌ. [صحيح البخاري].

ثامنًا: حسن الظن:

إن الواجب على المسلم أن يحسن الظن بأخيه المسلم، على العموم، وطلب العلم على الخصوص، فكيف إذا كان من العلماء؟ تعرف سلامة عقيدته، وباعه الطويل في الدعوة إلى الله تعالى، ومع ذلك لا تُحسن الظن به، وتحمل ما تسمعه عنه على أسوأ المحامل، وتنهش في عرضه، وتجهّله، وتبدعه، ظانًا أن هذا منهج الجرح والتعديل، وأنت من هدي السلف بعيد كل البعد إلا ما وافق هواك، والحدَّة التي في أخلاقك، وسوء الظن الذي جعلته أصلًا، وجعلت حسن الظن عارضًا.

فالواجب على المسلمين عامة وطلبة العلم خاصة حسن الظن بالعلماء، وألا يبادروا بالاعتراض قبل التوثق والسماع وحسن الفهم.

يقول الشاطبي رحمه الله: «إن العالم المعلوم بالأمانة والصدق والجري على سنن أهل الفضل والدين والورع، إذا سُئل عن نازلة فأجاب، أو عرضت له حالة يبعد العهد بمثلها، أو لا تقع من السامع موقعها، ألا يواجهوا بالاعتراض والنقد، فإن عرض إشكال فالتوقف أولى بالنجاح وأحرى بإدراك البغية إن شاء الله تعالى». [الموافقات ٥/٤٠٠].

فمحبة العلماء المشهود لهم في الأمة بالأهلية والورع، والتقوى عنوان رشد وسلامة في المعتقد والمنهج.

ورحم الله ابن عساكر الذي قال: «اعلم يا أخي وفقني الله وإياك لمرضاته وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته، أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة، ومن أطلق لسانه في العلماء بالثلب، بلاه الله قبل موته بموت القلب، (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ». [التبيان للنووي ١٩/١- ٢٠].

فسلفنا الصالح رضي الله عنهم كانوا يقولون: لا تظن بكلمة صدرت من أخيك شرًا، وأنت تجد لها في الخير محملًا، فلو كانت لها محمل واحد خير، وعشرة محامل شر، فاحملها على محمل الخير، تحسينًا للظن بإخوانك، وأنت تعلم أنه من أهل الخير والصلاح.

تاسعًا: التعاون على البر والتقوى:

وهذا التعاون لا شك أنه يقوّي الأخوة بين المسلمين، قال الله تعالى: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) [المائدة: ٢].

فالتعاون يكون في أمور الدين والدنيا؛ أحتاج إليك فآتيك تعينني، وأنت كذلك تأتيني فأعينك.

وهذا التعاون لن يقوم ونحن إخوة متشاكسون، يقول السعدي: «..فإن في اجتماع المسلمين على رتبهم، وائتلاف قلوبهم، يصلح دينهم وتصلح دنياهم، وبالاجتماع يتمكنون من كل أمر من الأمور، ويحصل لهم من المصالح التي تتوقف على الائتلاف ما لا يمكن عدها، من التعاون على البر والتقوى، كما أنه بالافتراق والتعادي يختل نظامهم وتتقطع روابطهم ويصير كل واحد يعمل ويسعى في شهوة نفسه، ولو أدى إلى الضرر العام». [تفسير السعدي ١/١٤١].

فاللهم ألف بين قلوبنا، واجمعنا على كلمة الحق، واجعلنا أخوة متحابين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

حادي المشتاقين إلى صحبة المخلصين



إعداد/ د. مرزوق محمد مرزوق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فإن جاز للناس أن يتناصحوا بما ليس فيهم من صفات - بنية أن يُرْزَقُوا العمل - جاز لنا أن ننصح بشأن الإخلاص.

وخلاصة القول ونحن في بدايته:

لا سعادة ولا فلاح ولا نجاح في الدنيا والآخرة إلا بالإخلاص، وبقدر ما ينشغل العقل في إيجاد السعادة بغير الاخلاص لله تعالى، بقدر ما يشقى صاحبه ويتعذب ويضل الطريق لأنه سلك طريقا غير الذي رسمه له خالقه.

أولا: قبل أن تخطو خطوة:

وقبل أن تخطو خطوة واحدة عليك أن تعرف السبيل التي فيها نجاتك، فلا يُقبل من المرء صرف ولا عدل إلا بشرطين:

١- الإخلاص الذي ننشده: أن يكون صاحبه قد قصد به وجه الله عز وجل، قال صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى». [جزء من حديث عمر بن الخطاب في صحيح البخاري ١/٣ ط٣/ دار ابن كثير]. ومنه يظهر لكل ذي قلب أهمية الإخلاص.

٢- الإتباع (لا بد من ذكره لتمام الفائدة): أن يكون موافقا لما بيّن لنا نبيه صلى الله عليه وسلم عندما قال: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا (أي: سُنتنا) فهو ردّ»، (أي: مردود غير مقبول). [جزء من حديث أم المؤمنين عائشة في صحيح مسلم ٣/ ١٣٤٣، ط/ دار إحياء التراث العربي].

فإذا اختل واحد من هذين الشرطين لم يكن العمل مقبولاً، ويدل على هذا أيضا قوله تبارك وتعالى: «فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا» [سورة الكهف: ١١٠]، فقد أمر الله سبحانه وتعالى أن يكون العمل صالحا أي: موافقًا للشرع، ثم أمر أن يخلص به صاحبه لله، لا يبتغي به سواه.

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره: (وهذان ركنا العمل المتقبل: لا بد أن يكون خالصًا لله تعالى، صوابًا على شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وروي مثل هذا عن القاضي عيّاض رحمه الله وغيره). [تفسير ابن كثير ٣/١٠٩، ط / دار الفكر].

وإن دلت الآية والحديث السالف ذكرهما على بيان الأمر بالإخلاص، فإننا ينبغي أن نشير أيضا إلى ما جاء في التحذير من الرياء، أعاذنا الله وإياكم منه:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يقول: « إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يوم الْقِيَامَةِ عليه رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قال: فما عَمِلْتَ فيها؟ قال: قَاتَلْتُ فِيكَ حتى اسْتُشْهِدْتُ. قال: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ على وَجْهِهِ حتى أُلْقِيَ في النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قال: فما عَمِلْتَ فيها؟ قال: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قال: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هو قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ على وَجْهِهِ حتى أُلْقِيَ في النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ الله عليه وَأَعْطَاهُ من أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قال: فما عَمِلْتَ

فيها؟ قال: ما تَرَكْتُ من سَبِيل تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فيها إلا أَنْفَقْتُ فيها لك، قال: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هو جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ: ثُمَّ أُمِرَ به فَسُحِبَ على وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ في النَّارِ». [صحيح مسلم ١٥١٣/٣].

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «قال الله تعالى: «أنا أَغْنَى الشُّرَكَاء عن الشِّرْك، من عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فيه مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ». [صحيح مسلم ٢٢٨٩/٤].

ثانيًا: الرياء يتسرب للمرء على حين غفلة:

ولأن الرياء قد يتسرب للمرء على حين غفلة أحببت أن أعرض لبعض نماذجه التي تذكره لنفسي وإخواني:

١- رياء في شكل البدن وتغيره:

ويكون بإظهار النحول والصفار، ليرى العباد بذلك شدة الاجتهاد، وغلبة خوف الآخرة، ويقرب من هذا خفض الصوت وإغارة العينين، وإظهار ذبول الجسم ليدل بذلك على أنه مواظب على الصوم أو كإبقاء أثر السجود على الوجه ليدل بذلك على مواظبته على الصلاة، أما إن ظهرت هذه الظواهر بغير قصد فلا حرج في هذا.

٢- رياء من جهة الزي:

وارتداء نوع معين من الزي ترتديه طائفة يعدهم الناس علماء، فيلبس هذا اللباس ليقال: إنه عالم.

٣- رياء بالقول:

وهو- على الغالب- رياء أهل الدين والوعظ والتذكير وحفظ الأخبار لأجل المحاورة، وإظهار غزارة العلم، وتحريك الشفتين بالذكر من محضر الناس، وإظهار الغضب للمنكرات بين الناس، وخفض الصوت وترقيقه بقراءة القرآن، ليدل بذلك على الخوف والحزن والخشوع.

٤- رياء الأعمال الصالحة:

وهو مشهور كمراءاة المصلي بطول القيام وتطويل الركوع والسجود وإظهار الخشوع، والمراءاة بالصوم والغزو والحج والصدقة، ونحو ذلك.

٥- رياء بزيارة العلماء والصالحين:

كالذي يتكلف أن يستزير عالمًا أو عابدًا ليقال: إن فلانًا قد زار فلانًا. ودعوة الناس لزيارته قد يقال: إن أهل الدين يترددون عليه. [انظر: الإخلاص، لحسين العوايشة ص٢٩، بتصرف].

ثالثًا: كونوا مع الصادقين- قولاً وعملاً- (نحسبهم والله حسيبهم):

أولا: نماذج من أقوال السلف في الإخلاص:

١- يقول ابن القيم: «وَقَدْ جَرَتْ عَادَةُ اللَّه الَّتِي لَا تُبَدَّلُ وَسُنَّتُهُ الَّتِي لَا تُحَوَّلُ أَنْ يُلْبِسَ الْمُخْلِصَ مِنْ الْمَهَابَةِ وَالنُّورِ وَالْمَحَبَّةِ فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ وَإِقْبَالِ قُلُوبِهِمْ إلَيْهِ مَا هُوَ بِحَسَبِ إخْلَاصِهِ وَنِيَّتِهِ وَمُعَامَلَتِهِ لِرَبِّهِ، وَيُلْبِسَ الْمُرَائِيَ اللَّابِسَ ثَوْبَيْ الزُّورِ مِنْ الْمَقْتِ وَالْمَهَانَةِ وَالْبِغْضَةِ مَا هُوَ اللَّائِقُ بِهِ؛ فَالْمُخْلِصُ لَهُ الْمَهَابَةُ وَالْمَحَبَّةُ، وَلِلْآخَرِ الْمَقْتُ وَالْبَغْضَاءُ.» (إعلام الموقعين عن رب العالمين (٤/ ١٥٣)، ط/ دار الجيل، تحقيق:طه عبد الرؤوف).

٢- ينقل الذهبي بسنده (في ترجمته لمسعر بن كدام) قول مسعر: «إِنَّ هَذَا الحَدِيْثَ (يقصد طلب الحديث) يَصُدُّكُم عَنْ ذِكْرِ الله، وَعَنِ الصَّلاَة، فَهَلْ أَنْتُم مُنْتَهُوْنَ؟»، ثم يعلق الذهبي قائلًا: «هَذِه مَسْأَلَةٌ مُخْتَلَفٌ فِيْهَا(أي طلب العلم أم نوافل العبادات): هَلْ طَلَبُ العِلْمِ أَفْضَلُ، أَوْ صَلاَةُ النَّافِلَةِ وَالتِّلاَوَةُ وَالذِّكْرُ؟ فَأَمَّا مَنْ كَانَ مُخلصاً لله فِي طَلَبِ العِلْمِ، وَذِهنُه جَيِّدٌ، فَالعِلْمُ أَوْلَى، وَلَكِنْ مَعَ حَظٍّ مِنْ صَلاَةٍ وَتَعَبُّدٍ، فَإِنْ رَأَيْتَهُ مُجِداً فِي طَلَبِ العِلْمِ لاَ حَظَّ لَهُ فِي القُرُبَاتِ، فَهَذَا كَسلاَنُ مَهِيْنٌ، وَلَيْسَ هُوَ بِصَادِقٍ فِي حُسنِ نِيَّتِه، وَأَمَّا مَنْ كَانَ طَلَبُه الحَدِيْثَ وَالفِقْهَ غِيَّةً وَمَحَبَّةً نَفْسَانِيَّةً، فَالعِبَادَةُ فِي حَقِّه أَفْضَلُ،وَهَذَا تَقسِيْمٌ فِي الجُمْلَة، فَقَلَّ -وَاللهِ- مَنْ رَأَيْتُه مُخلِصاً فِي طلبِ العلمِ».

ثم يستطرد الذهبي رحمه الله قائلا: «دَعْنَا مِنْ هَذَا كُلِّه، فَلَيْسَ طَلَبُ الحَدِيْثِ اليَوْمَ عَلَى الوَضعِ المُتَعَارَفِ مِنْ حَيِّزِ طَلَبِ العِلْمِ، بَلْ اصْطِلاَحٌ وَطَلَبُ أَسَانِيْدَ عَالِيَةٍ، وَأَخْذٌ عَنْ شَيْخٍ لاَ يَعِي، أَوْ لِفَقِيْهٍ يَتَحَدَّثُ مَعَ حَدَثٍ، أَوْ آخَرَ يَنسَخُ، وَفَاضِلُهُم مَشْغُوْلٌ عَنِ الحَدِيْثِ بِكِتَابَةِ الأَسْمَاءِ أَوْ بِالنُّعَاسِ، فَالعلمُ عَنْ هَؤُلاَءِ بِمَعْزِلٍ، وَالعَمَلُ لاَ أَكَادُ أَرَاهُ، بَلْ أَرَى أُمُوْراً سَيِّئَةً - نَسْأَلُ اللهَ العَفْوَ». [سير أعلام النبلاء ط٣ / الرسالة (٧/ ١٦٧)].

قلت: ومع أن مسعر رحمه الله من كبار علماء الحديث إلا أنه ينصح طلابه بهذه النصيحة لما يعلم من أهمية النية والإخلاص التي بها ينجو طالب العلم، وكذلك نرى الذهبي رحمه الله وهو من هو من علو كعبه في الحديث وغيره إلا أنه لم يستغرب هذا الرأي من مسعر لعلمه هو الآخر

بأهمية النية و الإخلاص.

ثانيا: نماذج من أحوال السلف:

١- هذا أبو الحسن محمد بن أسلم الطوسي، يقول عنه خادمه أبو عبد الله: «صَحِبْتُ مُحَمَّدَ بْنَ أَسْلَمَ نَيِّفًا وَعِشْرِينَ سَنَةً لَمْ أَرَهُ يُصَلِّي حَيْثُ أَرَاهُ رَكْعَتَيْنِ مِنَ التَّطَوُّعِ إِلا يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَلا يُسَبِّحُ وَلا يَقْرَأُ حَيْثُ أَرَاهُ وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَعْلَمُ بِسِرِّهِ وَعَلانِيَتِهِ مِنِّي، وَسَمِعْتُهُ يَحْلِفُ كَذَا كَذَا مَرَّةً أَنْ لَوْ قَدَرْتُ أَنْ أَتَطَوَّعَ حَيْثُ لا يَرَانِي مَلَكَايَ لَفَعَلْتُ وَلَكِنْ لا أَسْتَطِيعُ ذَلِكَ، ثُمَّ أَخَذَ حَجَرًا صَغِيرًا فَوَضَعَهُ عَلَى كَفِّهِ، فَقَالَ: أَلَيْسَ هَذَا حَجَرًا؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: أَوَ لَيْسَ هَذَا الْجَبَلُ حَجَرًا؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَالاسْمُ يَقَعُ عَلَى الْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ أَنَّهُ حَجَرٌ فَكَذَلِكَ الرِّيَاءُ قَلِيلُهُ وَكَثِيرُهُ شِرْكٌ. وَكَانَ مُحَمَّدٌ يَدْخُلُ بَيْتًا وَيُغْلِقُ بَابَهُ وَيُدْخِلُ مَعَهُ كُوزًا مِنْ مَاءٍ، فَلَمْ أَدْرِ مَا يَصْنَعُ حَتَّى سَمِعْتُ ابْنًا لَهُ صَغِيرًا يَبْكِي بُكَاءَهُ فَنَهَتْهُ أُمُّهُ فَقُلْتُ لَهَا: مَا هَذَا الْبُكَاءُ؟ فَقَالَتْ: إِنَّ أَبَا الْحَسَنِ يَدْخُلُ هَذَا الْبَيْتَ فَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَبْكِي فَيَسْمَعُهُ الصَّبِيُّ فَيُحَاكِيهِ، فَكَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ غَسَلَ وَجْهَهُ وَاكْتَحَلَ فَلا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ الْبُكَاءِ، وَكَانَ مُحَمَّدٌ يَصِلُ قَوْمًا وَيُعْطِيهِمْ وَيَكْسُوهُمْ فَيَبْعَثُ إِلَيْهِمْ وَيَقُولُ لِلرَّسُولِ: انْظُرْ أَنْ لا يَعْلَمُوا مَنْ بَعَثَهُ إِلَيْهِمْ فَيَأْتِيهِمْ هُوَ بِاللَّيْلِ فَيَذْهَبُ بِهِ إِلَيْهِمْ وَيُخْفِي نَفْسَهُ فَرُبَّمَا بَلِيَتْ ثِيَابُهُمْ وَنَفِدَ مَا عِنْدَهُمْ وَلا يَدْرُونَ مَنِ الَّذِي أَعْطَاهُمْ».

قلت: وما وصل إلى هذه الحالة إلا بما عرف من قدر ربه فانظر ماذا يقول عن نفسه:

«مَا لِي وَلِهَذَا الْخَلْقِ، كُنْتُ فِي صُلْبِ أَبِي وَحْدِي، ثُمَّ صِرْتُ فِي بَطْنِ أُمِّي وَحْدِي، ثُمَّ دَخَلْتُ الدُّنْيَا وَحْدِي، ثُمَّ تُقْبَضُ رُوحِي وَحْدِي، وَأُدْخَلُ فِي قَبْرِي وَحْدِي، وَيَأْتِينِي مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ فَيَسْأَلانِي فِي قَبْرِي وَحْدِي، فَإِنْ صِرْتُ إِلَى خَيْرٍ صِرْتُ وَحْدِي وَإِنْ صِرْتُ إِلَى شَرٍّ كُنْتُ وَحْدِي، ثُمَّ أُوقَفُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَحْدِي، ثُمَّ يُوضَعُ عَمَلِي وَذُنُوبِي فِي الْمِيزَانِ وَحْدِي، وَإِنْ بُعِثْتُ إِلَى الْجَنَّةِ بُعِثْتُ وَحْدِي، وَإِنْ بُعِثْتُ إِلَى النَّارِ بُعِثْتُ وَحْدِي، فَمَا لِي وَلِلنَّاسِ».

[انظر ترجمة محمد بن أسلم الطوسي: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم (٩/ ٢٤١، وما بعدها)، ط / دار الكتاب العربي].

٢- وروى البيهقي بسنده عن سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ، يَقُولُ: « كَانَ دُعَاءُ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللهِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ مِمَّا تُبْتُ إِلَيْكَ مِنْهُ ثُمَّ عُدْتُ إِلَيْهِ، وَأَسْتَغْفِرُكَ مِمَّا جَعَلْتُهُ لَكَ عَلَى نَفْسِي ثُمَّ لَمْ أُوفِ بِهِ، وَأَسْتَغْفِرُكَ مِمَّا زَعَمْتُ أَنِّي أَرَدْتُ بِهِ وَجْهَكَ فَخَالَطَ قَلْبِي فِيهِ مَا قَدْ عَلِمْتَ». [شعب الإيمان ٥/٤٣٢)، ط١/دار الكتب العلمية].

٣- وقال أبو سليمان الداراني: (من صفى صفي له ومن كدر كدر عليه ومن أحسن في ليله كوفئ في نهاره ومن أحسن في نهاره كوفئ في ليله). [ذم الهوى لابن الجوزي ١/١٨٥)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد].

٤- وقيل لابن المبارك: إبراهيم بن أدهم ممن سمع؟ ممن أخذ الحديث؟ وممن أخذ العلم؟ قال « قد سمع من الناس وله فضل في نفسه.. صاحب سرائر ما رأيته يظهر تسبيحا، ولا شيئاً من الخير، ولا أكل مع قوم قط إلا كان آخر من يرفع يده - يتظاهر أنه ليس من أهل الزهد وإنما يأكل كما يأكل عامة الناس فلا يقوم أولهم - « (الحلية (٧/ ٣٦٨))

٥- وروى أبو القاسم علي بن الحسن بسنده عن محمد بن إسحاق قال: أتينا فضيل بن عياض لنسمع منه فلما رآنا وقف على باب الدار فلما أتيناه سلمنا عليه فقال لنا: «لقد تعوذت بالله من شركم حيث رأيتكم قلنا له ولم يا أبا علي قال أكره أن تزينوا إلي وأتزين لكم «، وروى بسنده إلى عبد الله الأنطاكي قال: «اجتمع الفضيل بن عياض وسفيان الثوري يوماً، فجلسوا يتذاكرون شيئاً من الرقائق فرق كل واحد منهم وبكى، فقال سفيان الثوري رحمه الله: « أرجوا أن يكون هذا المجلس علينا رحمة وبركة « فقال الفضيل بن العياض: « ولكني أخاف يا أبا عبد الله ألا يكون أضرَّ علينا.. ألست تخلصتَ إلى أحسن حديثك وتخلصتُ أنا إلى أحسن حديثي.. فتزينتُ لك.. وتزينتَ لي.. فبكى سفيان الثوري رحمه الله وقال « أحييتني أحياك الله « (تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل ٤٨ / ٤٠٤)، ط/ دار الفكر)، «وأوصى سفيان أن تدفن كتبه وقد ندم على أشياء كتبها عن قوم ظن أن الذي حمله على ذلك شهوة الحديث « (الحلية ٧ / ٦٤)

٦- وروى ابن أبي الدنيا بسنده عن إبراهيم بن أدهم أنه قال: «ما صدق الله عبد أحب الشهرة. قال: ولم أره يحرك شفتيه بالتسبيح قط«. (العزلة والانفراد لابن أبي الدنيا ١ / ١٢٦)،ط١/دار

الوطن، تحقيق: مشهور حسن آل سلمان).
٧- وروى أبو نعيم بسنده عن الربيع بن سليمان (تلميذ الشافعي) يقول: دخلت على الشافعي وهو عليل فسأل عن أصحابنا وقال يا بني لوددت أن الخلق كلهم تعلموا يريد كتبه ولا ينسب إلي منه شيء (الحلية ٩ / ١١٨).

رابعا: ومن وسائل تحقيق الاخلاص وعلاج الرياء:

فإن كان الإخلاص بهذه الأهمية، والرياء بهذه الخطورة فجدير بالعاقل أن يبحث فيما ينال به مقام المخلصين، وينجو به من ورطات المرائين؛ لذا فإننا نعرض لبعض الأسباب المعينة على ذلك:

١- معرفة عظمة الله تعالى، وأسمائه، وصفته، والإلمام بالتوحيد ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، وهذا بحثه واسع لا يتسع له المقام، لكننا نورد طرفًا يسيرًا منه من باب الذكرى.

إن الله تعالى وحده هو الذي ينفع ويضر متى شاء، وانظر ماذا يقول حبيبك الله صلى الله عليه وسلم وقد علم هذا الحديث لابن عباس وهو غلام:» يا غُلَامُ إني أُعَلِّمُكَ كلِمَات؛ احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إذا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ، وإذا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بالله، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لو اجْتَمَعَتْ على أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لم يَنْفَعُوكَ إلا بِشَيْءٍ قد كَتَبَهُ الله لك، وَلَوْ اجْتَمَعُوا على أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لم يَضُرُّوكَ إلا بِشَيْءٍ قد كَتَبَهُ الله عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ. قال الترمذي: هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ « (سنن الترمذي ٤ / ٦٦٧ ط/ دار إحياء التراث العربي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون).

٢- تذكر الموت وقصر الأمل في الدنيا:

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أَخَذَ رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم بِمَنْكِبِي فقال:»كُنْ في الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أو عَابِرُ سَبِيلٍ، وكان بن عُمَرَ يقول: إذا أَمْسَيْتَ فلا تَنْتَظِرْ الصَّبَاحَ، وإذا أَصْبَحْتَ فلا تَنْتَظِرْ الْمَسَاءَ، وَخُذْ من صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ « (صحيح البخاري ٥ / ٢٣٥٨)، فالغريب لا ينافس أهل المحلة سلطانهم في محلتهم فلا داعي لحب الظهور.

٣- الدعاء:

فلا تتوقف عن الدعاء ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، وتحرّ ما استطعت الساعات المستجابة مع مراعاة آداب الدعاء.

وقد علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاءً يذهب عنا كبار الشرك وصغاره فقال: «اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم» (جزء من حديث في صحيح الجامع: ٣٦٢٥).

٤- الإكثار من أعمال الخير غير المشاهَدة:

مثل: قيام الليل، البكاء خاليًا من خشية الله تعالى، صوم النافلة، صدقة السر، الدعاء للإخوة في الله بظهر الغيب، صلاتك لما سوى الفرائض في البيت.

٥- مصاحبة من ترى فيهم الإخلاص والصلاح والتقوى:

فالمخلص لا يعدمك من إخلاصه شيء، والمرائي والمشرك إما يحرقك في نار جهنم يوم القيامة، أو تجد منه ريح الرياء النتنة التي تزيدك حبًا وولعًا بالرياء والشرك، أعاذنا الله منه.

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمِسْكِ، وَكِيرِ الْحَدَّادِ لا يَعْدَمُكَ من صَاحِبِ الْمِسْكِ إِمَّا تَشْتَرِيهِ أو تَجِدُ رِيحَهُ، وَكِيرُ الْحَدَّادِ يُحْرِقُ بَدَنَكَ أو ثَوْبَكَ أو تَجِدُ منه رِيحًا خَبِيثَةً « (صحيح البخاري ٢ / ٧٤١).

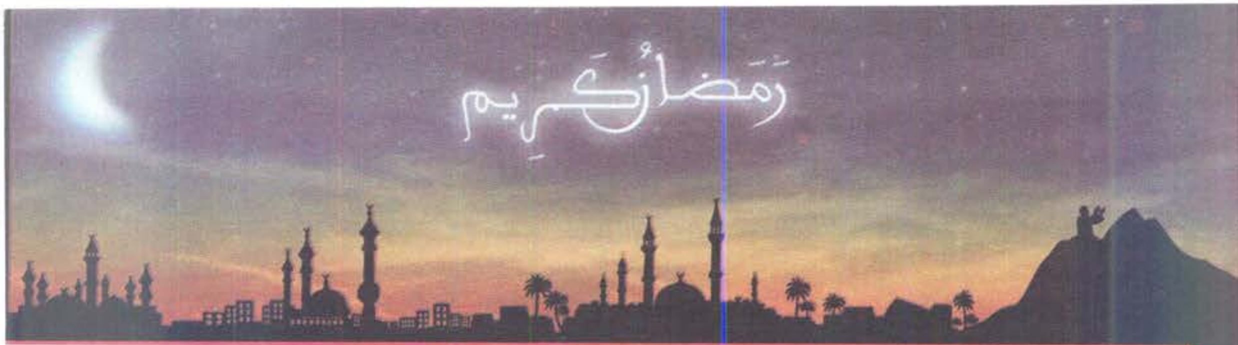
٦- معرفة ثمرات الإخلاص وويلات الرياء:

وهي كثيرة ولا يتسع المقام لذكرها، وقد ذكرنا بعضًا منها في طيات المقال، ولتراجع بتوسع في مظانها من كتب السنة، وكتب الرقائق والتراجم كالمشار إليها في هذا المقال، وغيرها.

أخيرًا: وقفة على أعتاب رمضان:

حبيبي في الله: لو لم تكن وقفتنا مع هذه النفس الأمارة بالسوء الآن، ونحن على أعتاب رمضان، وقد صفدت الشياطين، وغلقت أبواب النيران، وداعي الخير ينادي يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، لولم تكن الآن فمتى تكون؟!، وقفة مع النفس نراجع فيها أنفسنا، مقبلين فيها على ربنا سائلين الله فيها الإخلاص، راجين من الله فيها التوفيق والسداد، متمنين عليه سبحانه العتق من النار، إنه خير مسئول وأكرم مأمول.

نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يرزقنا وإياكم وجميع المسلمين الإخلاص الذي يحبه ويرضاه إنه بكل جميل كفيل وهو حسبنا ونعم الوكيل.



رمضان والدعاء

إعداد / مصطفى البصراتي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعدُ:

فإن شهر الصوم شهر خضوع ومسكنة ودموع، يتقرب فيه المسلم إلى الله عز وجل بأنواع العبادات وأجل القُربات من صلاة وصيام ودعاء وصدقة وغيرها. قال بعض السلف: كانوا يدعون الله ستة أشهر أن يبلِّغهم شهر رمضان، ثم يدعون الله ستة أشهر أن يتقبله منهم.

والصائم ليله ونهاره في عبادة، ويُستجاب دعاؤه في صيامه، وعند فطره، فهو في نهاره صائم صابر وفي ليله طاعم شاكر.

الدعاء عبادة وقربة:

واعلم أن الله سبحانه جعل الدعاء عبادة وقربة، وأمر عباده المؤمنين بالتوجه إليه لينالوا عنده منزلة رفيعة وزلفى، أمر بالدعاء وجعله وسيلة الرجاء، فكل من خلقه يفزع في حاجته إليه، ويعول عند الحوادث والكوارث عليه.

وحقيقته: إظهار الافتقار إليه، والتبرؤ من الحول والقوة، وهو سمة العبودية، واستشعار الذلة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله وإضافة الجود والكرم إليه. [كتاب شأن الدعاء للخطابي].

وقد قال صلى الله عليه وسلم: «الدعاء هو العبادة». فالدعاء شأنه عظيم وأثره كبير، ومعانيه ودلالته واسعة.

فضل الدعاء:

١- قال الله تعالى: «وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ» [غافر: ٦٠].

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الدعاء هو العبادة». وقرأ: «وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ» [غافر: ٦٠]. رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وصححه الألباني.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ليس شيء أكرم على الله تعالى من الدعاء». رواه الترمذي وابن ماجه وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

ثمرات الدعاء

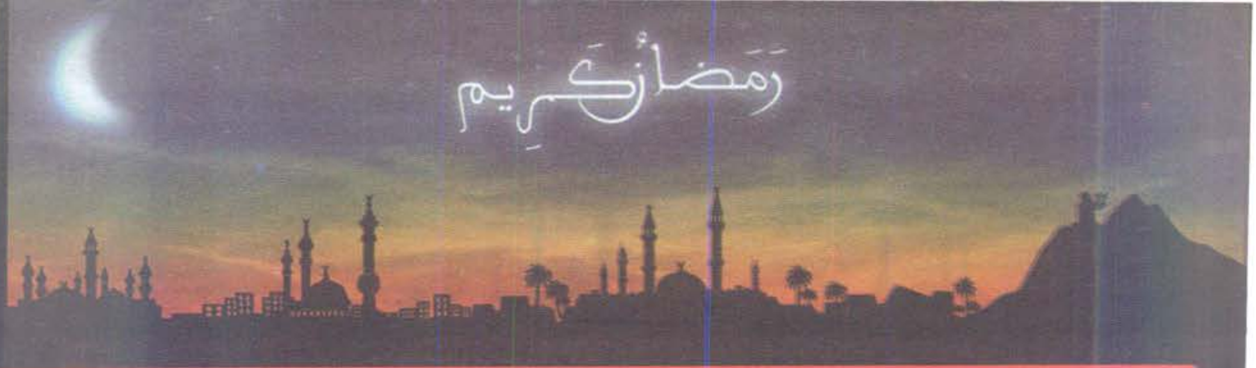
١- عن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من مسلم يدعو الله بدعوة ليس فيها إثمٌ ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث؛ إما أن تُعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها». قالوا: إذن نُكثر. قال: «الله أكثر». رواه أحمد والترمذي وحسنه الألباني.

٢- وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن ربكم حييٌّ كريمٌ يستحي مِنْ عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرًا». رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وصححه الألباني.

والدعاء من أقوى الأسباب في دفع المكروه، وحصول المطلوب، وهو من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء، يدافعه ويعالجه، ويمنع نزوله، ويرفعه، أو يخففه إذا نزل، وهو سلاح المؤمن.

٣- وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم عباد الله بالدعاء». رواه أحمد والحاكم وصححه الألباني.

٤- وعن سلمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يردُّ القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر». رواه الترمذي والحاكم



وحسنه الألباني.

وللدعاء مع البلاء ثلاثة مقامات:

أ- أن يكون الدعاء أقوى من البلاء؛ فيدفعه.

ب- أن يكون أضعف من البلاء فيقوى عليه البلاء فيُصاب به العبد، ولكن قد يخففه وإن كان ضعيفًا.

جـ- أن يتقاوما ويمنع كل واحد منهما صاحبه. [الجواب الكافي لابن القيم ص٤].

شروط الدعاء وموانع الإجابة:

قال ابن القيم في «الجواب الكافي»: «الأدعية والتعوذات بمنزلة السلاح، والسلاح بضاربه، لا بحدّه فقط، فمتى كان السلاح سلاحًا تامًا لا آفة به، والساعدُ ساعدًا قويًا، والمانع مفقودًا، حصلت به النكاية في العدو، ومتى تخلف واحدٌ من هذه الثلاثة، تخلف التأثير، فإن كان الدعاء في نفسه غير صالح، أو الداعي لم يجمع بين قلبه ولسانه، أو كان ثم مانعٌ من الإجابة، لم يحصل التأثير». اهـ.

أما عن شروط الدعاء وموانع الإجابة فهي كما يلي:

أولاً: شروط الدعاء:

من أعظم وأهم شروط قبول الدعاء ما يأتي:

الشرط الأول: الإخلاص: وهو تصفية الدعاء والعمل من كل ما يشوبه، وصرف ذلك كله لله وحده لا شريك له، ولا رياء ولا سمعة ولا طلبًا للعرض الزائل، ولا تصنعًا وإنما يرجو العبد وجه الله ويخشى عقابه، ويطمع في رضاه. [مقومات الداعية الناجح لعبدالله القحطاني].

وقد أمر الله تعالى بالإخلاص في كتابه الكريم، فقال تعالى: «قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ» [الأعراف: ٢٩]، وقال تعالى: «فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ» [غافر: ١٤].

وقال سبحانه: «وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ» [البينة: ٥].

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «يا غلام، إني أعلمك كلمات؛ احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فاسأل الله...» الحديث. رواه أحمد والترمذي وقال: حسن صحيح.

وسؤال الله تعالى: هو دعاؤه والرغبة إليه كما قال تعالى: «وَسْئَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا» [النساء: ٣٢].

الشرط الثاني: المتابعة: وهو شرط في جميع العبادات؛ لقوله تعالى: «قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا» [الكهف: ١١٠].

والعمل الصالح هو ما كان موافقًا لشرع الله تعالى ويرادُ به وجه الله سبحانه، فلا بد أن يكون الدعاء والعمل خالصًا لله صوابًا على شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم. [تفسير ابن كثير ٣/١٠٩].

وقال تعالى: «وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ» [لقمان: ٢٢].

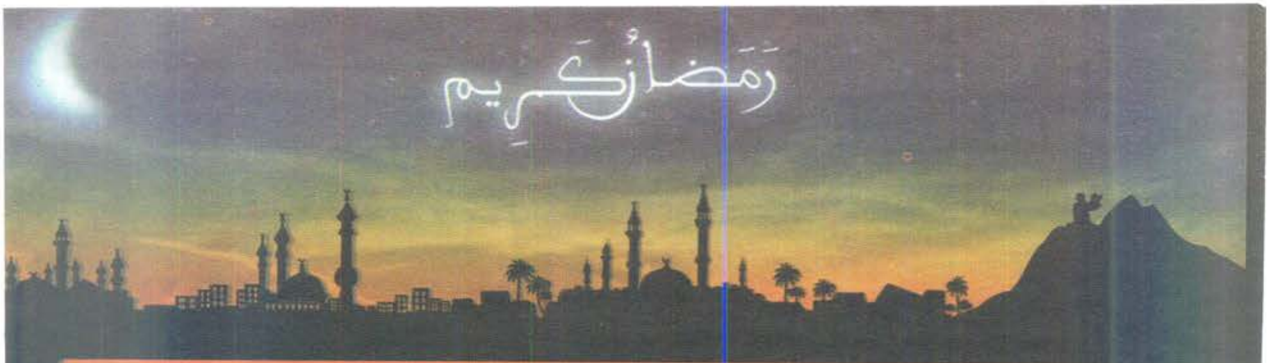
فإسلام الوجه: إخلاصُ القصد والدعاء والعمل لله وحده، والإحسان فيه: متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته. [مدارج السالكين ٢/٩٠].

لحديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو ردّ». [رواه البخاري ومسلم].

الشرط الثالث: الثقة بالله تعالى واليقين بالإجابة:

فمن أعظم الشروط لقبول الدعاء: الثقة بالله تعالى، وأنه على كل شيء قدير؛ لأنه تعالى يقول للشيء كن فيكون، قال الله سبحانه: «إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ» [النحل: ٤٠]، فالمسلم إذا علم ذلك فعليه أن يدعو الله وهو موقن بالإجابة، لما تقدم، ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة». رواه الترمذي وحسنه الألباني.

الشرط الرابع: حضور القلب والخشوع والرغبة فيما عند الله من الثواب، والرهبة مما عنده من العقاب، فقد أثنى الله تعالى على زكريا وأهل بيته فقال تعالى: «إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ» [الأنبياء: ٩٠]، فلا بد للمسلم في دعائه أن يحضر قلبه، وهذا أعظم شروط قبول الدعاء كما قال ابن رجب رحمه الله في «جامع العلوم والحكم»، وقد جاء في حديث أبي هريرة: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه». أخرجه الترمذي وحسنه



الألباني. وقد أمر الله تعالى بحضور القلب والخشوع في الذكر والدعاء، فقال سبحانه: «وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ» [الأعراف: ٢٠٥].

الشرط الخامس: العزم والجزم والجدُّ في الدعاء: فإن المسلم إذا سأل ربه فإنه يجزم ويعزم بالدعاء، ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الاستثناء في الدعاء، فقد روى البخاري ومسلم: عن أنس رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا دَعَوْتُمُ اللَّهَ فَاعْزِمُوا فِي الدُّعَاءِ، وَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ إِنْ شِئْتَ فَأَعْطِنِي فَإِنَّ اللَّهَ لَا مُسْتَكْرِهَ لَهُ». وفي رواية: «فَإِنَّ اللَّهَ لَا مُسْتَكْرِهَ لَهُ».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلَا يَقُلْ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، وَلَكِنْ لِيَعْزِمْ الْمَسْأَلَةَ وَلْيُعَظِّمْ الرَّغْبَةَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ». [أخرجه البخاري ومسلم].

موانع إجابة الدعاء

المانع: لغة: الحائل بين الشيئين.

المانع الأول: التوسع في الحرام: أكلاً وشربًا، ولبسًا وتغذيةً. [جامع العلوم].

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ»، وَقَالَ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ»، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟!».

المانع الثالث: ارتكاب المعاصي والمحرمات: قال ابن رجب: قد يكون ارتكاب المحرمات الفعلية مانعة من الإجابة، ولهذا قال بعض السلف: لا تستبطئ الإجابة وقد سددت طريقها بالمعاصي، ولا شك أن الغفلة والوقوع والشهوات المحرمة من أسباب الحرمان.

المانع الرابع: ترك الواجبات التي أوجبها الله: فكما أن فعل الطاعات يكون سببًا لاستجابة الدعاء فكذلك ترك الواجبات يكون مانعًا من موانع استجابة الدعاء. [جامع العلوم والحكم].

ولهذا جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم هذا المعنى، عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنْ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ، ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ. [رواه الترمذي وحسنه].

المانع الخامس: الدعاء بإثم أو قطيعة رحم.

المانع السادس: الحكمة الربانية فقد يمنع الله العبد من الشيء الذي يرغبه ويعطيه أفضل مما سأل.

بعض الأدعية والأذكار المتعلقة بشهر رمضان:

ما يقول إذا رأى الهلال: يقول مستقبل القبلة: «اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بِالْأَمْنِ وَالْإِيمَانِ وَالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ» رواه الحاكم وصححه وأقره الذهبي.

ويقول عند الإفطار: «ذهب الظمأ، وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله» رواه أبو داود وحسنه الألباني. وهذا أفضله لأنه دعاء النبي صلى الله عليه وسلم ويمكن له أن يدعو به.

وعن معاذ بن زهرة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أفطر قال: «اللهم لك صمت، وعلى رزقك أفطرت». رواه أبو داود مرسلاً، وقال الألباني: «له شواهد يتقوى بها».

وكان ابن عمر يقول عند فطره: «اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي». رواه أبو داود.

وروى البيهقي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاث دعوات لا ترد: دعوة الوالد، ودعوة الصائم، ودعوة المسافر». [وصححه الألباني في صحيح الجامع ٣٠٣٢].

قالت عائشة رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم: «أرأيت إن وافقت ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال: قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني». [الترمذي وقال حسن صحيح وصححه الألباني].

وختامًا: ينبغي أن يُختم صيام رمضان بالاستغفار: «كتب عمر بن عبد العزيز إلى الأمصار يأمرهم بختم شهر رمضان بالاستغفار والصدقة، صدقة الفطر، فإن صدقة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث والاستغفار يُرفع ما تخرّق من الصيام باللغو والرفث».

نسأل الله تعالى أن يتقبل منا ومنكم الصيام والقيام والدعاء. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



رمضان كريم

١٤٣٤

اليوم	رمضان	ميلادي	الفجر	الشروق	الظهر	العصر	المغرب	العشاء
الاربعاء	١	٧/١٠	٣,١٧	٥,٠١	١٢,٠٠	٣,٣٦	٦,٥٩	٨,٣١
الخميس	٢	٧/١١	٣,١٨	٥,٠٢	١٢,٠٠	٣,٣٧	٦,٥٩	٨,٣٠
الجمعة	٣	٧/١٢	٣,١٩	٥,٠٢	١٢,٠١	٣,٣٧	٦,٥٩	٨,٣٠
السبت	٤	٧/١٣	٣,١٩	٥,٠٣	١٢,٠١	٣,٣٧	٦,٥٨	٨,٣٠
الاحد	٥	٧/١٤	٣,٢٠	٥,٠٣	١٢,٠١	٣,٣٧	٦,٥٨	٨,٢٩
الاثنين	٦	٧/١٥	٣,٢١	٥,٠٤	١٢,٠١	٣,٣٧	٦,٥٨	٨,٢٨
الثلاثاء	٧	٧/١٦	٣,٢٢	٥,٠٤	١٢,٠١	٣,٣٧	٦,٥٧	٨,٢٨
الاربعاء	٨	٧/١٧	٣,٢٢	٥,٠٥	١٢,٠١	٣,٣٨	٦,٥٧	٨,٢٧
الخميس	٩	٧/١٨	٣,٢٣	٥,٠٥	١٢,٠١	٣,٣٨	٦,٥٧	٨,٢٧
الجمعة	١٠	٧/١٩	٣,٢٤	٥,٠٦	١٢,٠١	٣,٣٨	٦,٥٦	٨,٢٦
السبت	١١	٧/٢٠	٣,٢٥	٥,٠٧	١٢,٠١	٣,٣٨	٦,٥٦	٨,٢٥
الاحد	١٢	٧/٢١	٣,٢٦	٥,٠٧	١٢,٠١	٣,٣٨	٦,٥٥	٨,٢٥
الاثنين	١٣	٧/٢٢	٣,٢٧	٥,٠٨	١٢,٠١	٣,٣٨	٦,٥٥	٨,٢٤
الثلاثاء	١٤	٧/٢٣	٣,٢٧	٥,٠٨	١٢,٠١	٣,٣٨	٦,٥٤	٨,٢٣
الاربعاء	١٥	٧/٢٤	٣,٢٨	٥,٠٩	١٢,٠١	٣,٣٨	٦,٥٤	٨,٢٢
الخميس	١٦	٧/٢٥	٣,٢٩	٥,١٠	١٢,٠١	٣,٣٨	٦,٥٣	٨,٢١
الجمعة	١٧	٧/٢٦	٣,٣٠	٥,١٠	١٢,٠١	٣,٣٨	٦,٥٢	٨,٢١
السبت	١٨	٧/٢٧	٣,٣١	٥,١١	١٢,٠١	٣,٣٨	٦,٥٢	٨,٢٠
الاحد	١٩	٧/٢٨	٣,٣٢	٥,١١	١٢,٠١	٣,٣٨	٦,٥١	٨,١٩
الاثنين	٢٠	٧/٢٩	٣,٣٣	٥,١٢	١٢,٠١	٣,٣٨	٦,٥٠	٨,١٨
الثلاثاء	٢١	٧/٣٠	٣,٣٤	٥,١٣	١٢,٠١	٣,٣٨	٦,٥٠	٨,١٧
الاربعاء	٢٢	٧/٣١	٣,٣٥	٥,١٣	١٢,٠١	٣,٣٨	٦,٤٩	٨,١٦
الخميس	٢٣	٨/١	٣,٣٦	٥,١٤	١٢,٠١	٣,٣٨	٦,٤٨	٨,١٥
الجمعة	٢٤	٨/٢	٣,٣٦	٥,١٤	١٢,٠١	٣,٣٨	٦,٤٨	٨,١٤
السبت	٢٥	٨/٣	٣,٣٧	٥,١٥	١٢,٠١	٣,٣٨	٦,٤٧	٨,١٣
الاحد	٢٦	٨/٤	٣,٣٨	٥,١٦	١٢,٠١	٣,٣٨	٦,٤٦	٨,١٢
الاثنين	٢٧	٨/٥	٣,٣٩	٥,١٦	١٢,٠١	٣,٣٨	٦,٤٥	٨,١١
الثلاثاء	٢٨	٨/٦	٣,٤٠	٥,١٧	١٢,٠١	٣,٣٨	٦,٤٤	٨,١٠
الاربعاء	٢٩	٨/٧	٣,٤١	٥,١٧	١٢,٠١	٣,٣٧	٦,٤٤	٨,٠٩
الخميس	٣٠	٨/٨	٣,٤٢	٥,١٨	١٢,٠١	٣,٣٧	٦,٤٣	٨,٠٨

هدية مجلة التوحيد



الحلقة (١٥٥)

قصة الخزاعي وتمني أن يكون رمضان السنة كلها

إعداد/ علي حشيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت وانتشرت على ألسنة القصاص والوعاظ خاصة في شهر رمضان، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق حتى يقف على حقيقة هذه القصة .

أولاً: المتن :

رُوِيَ عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه سمع النَّبِي صلى الله عليه وسلم وهو يقول - وقد أهل رمضان-: «لو علم العباد ما في رمضان لتمنت أمتي أن يكون رمضان السنة كلها». فقال رجل من خزاعة: حدثنا به قال : «إن الجنة تزين لرمضان من رأس الحول إلى الحول، حتى إذا كان أول يوم من رمضان هبت ريح من تحت العرش فصفقت ورق الجنة، فتنظر الحور العين إلى ذلك فيقلن:

يا رب اجعل لنا من عبادك في هذا الشهر أزواجًا تقر أعيننا بهم ويقر أعينهم بنا، قال : فما من عبد يصوم رمضان إلا زُوِّج زوجة من الحور العين في خيمة من درة مجوفة مما نعت الله : «حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ» [الرحمن: ٧٢] على كل امرأة منهن سبعون حلة ، ليس فيها حلة على لون الأخرى، وتعطى سبعين لونًا من الطيب ليس منها لون على ريح الآخر.

لكل امرأة منهن سبعون سريرًا من ياقوتة حمراء، موشحة بالدر، على كل سرير سبعون فراشًا بطائنها من إستبرق، وفوق السبعين فراشًا سبعون أريكة، لكل امرأة منهن سبعون ألف وصية لحاجاتها، وسبعون ألف وصيف، مع كل وصيف صحفة من ذهب فيها لون طعام يجد لآخر لقمة لذة لا يجد لأولها.

ويعطى زوجها مثل ذلك على سرير من ياقوت أحمر عليه سواران من ذهب موشح بياوقت أحمر، هذا بكل يوم صام من رمضان سوى ما عمل من الحسنات. اهـ.

ثانيًا: التخريج :

أخرج الخبر الذي جاءت به هذه القصة الإمام الحافظ أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى التميمي في «مسنده» (١٨٠/٩) (٥٢٧٣/٣٠٧) قال : حدثنا محمد بن يحيى بن أبي سمية حدثنا عبد الله بن رجاء ، حدثنا جرير بن أيوب عن الشعبي عن نافع بن بردة عن ابن مسعود أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول- وقد أهلَّ رمضان- القصة.

ثالثًا: التحقيق :

هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة الواهية علته جرير بن أيوب .

١- قال الإمام البخاري في «الضعفاء الصغير» (٥٠): «جرير بن أيوب الكوفي البجلي منكر الحديث».

قلت: وهذا المصطلح له معناه عند الإمام البخاري؛ حيث بيّن ذلك الإمام السيوطي في «التدريب» (٣٤٩/١) فقال: «البخاري يطلق: (فيه نظر، وسكتوا عنه) فيمن تركوا حديثه، ويُطلق (منكر الحديث) على من لا تحل الرواية عنه». اهـ.

٢- وقال الإمام النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (١٠٢): «جرير بن أيوب الكوفي: متروك». اهـ.

قلت: وهذا المصطلح عند الإمام النسائي له معناه؛ حيث بيّن ذلك الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٧٣) فقال: «مذهب النسائي ألا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه». اهـ.

ثم قال: «وليحذر المتكلم في هذا الفن من التساهل في الجرح والتعديل».

٣- وقال الإمام العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٢٤٢/١٩٧/١): «جرير بن أيوب البجلي عن أبي زُرعة عمرو بن جرير، ثم قال حدثني آدم بن موسى قال: سمعت البخاري قال، ثم ذكر ما أوردناه آنفًا عن الإمام البخاري، ثم ختم ترجمة جرير قائلاً: «وله غير حديث ولا يُتابع على شيء منها». اهـ.

٤- وقال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٢٢٠/١): «جرير بن أيوب البجلي، يروي عن أبي زُرعة بن عمرو بن جرير وهو جده كان ممن فَحُشَ خطؤه، وكان أبو نعيم يقول: جرير بن أيوب يضع الحديث». اهـ.

٥- قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢٠٧٥/٥٠٣/٢):

أ- «جرير بن أيوب البجلي الكوفي روى عن جده أبي زرعة بن عمرو بن جرير والشعبي، وروى عنه وكيع وأبو أسامة وعبد الله بن رجاء الغداني سمعت أبي يقول ذلك».

ب- ثم قال ابن أبي حاتم: قرئ على العباس بن محمد الدوري قال: قال يحيى بن معين: جرير بن أيوب البجلي ليس بشيء.

جـ- ثم قال ابن أبي حاتم: سمعت أبي يقول: «جرير ابن أيوب البجلي منكر الحديث».

د- ثم قال ابن أبي حاتم: قال سئل أبو زرعة عن جرير بن أيوب البجلي فقال: منكر الحديث. اهـ.



قلت: ويستفاد من قول الإمام ابن أبي حاتم في (أ) التثبت من حقيقة العلة في الإسناد.

٦- وذكره الإمام الذهبي في «الميزان» (١٤٥٩/٣٩١/١) ونقل أقوال أئمة الجرح والتعديل الإمام يحيى بن معين، والإمام أبو نعيم والإمام البخاري والإمام النسائي، وأقرها، وهي الأقوال التي خرجناه آنفًا وبيّنّا أصولها عند هؤلاء الأئمة رحمهم الله.

٧- وذكره الحافظ ابن حجر في «اللسان» (١٢٨/٢) (١٩٣١/٦٤)، ونقل ما ذكره الإمام الذهبي في «الميزان» من أقوال أئمة الجرح والتعديل، وكان آخرها: قال ابن عدي ولجرير أحاديث عن جده أبي زرعة بن عمرو بن جرير. اهـ.

أ- ويستفاد من قول ابن عدي هذا: أن أباه أيوب ولد أبي زرعة بن عمرو.

من هذا التحقيق يتبين من أقوال أئمة الجرح والتعديل أن جرير بن أيوب البجلي الكوفي

منكر الحديث متروك، ليس بشيء، يضع الحديث .

فالقصة واهية والخبر الذي جاءت به موضوع.

رابعًا: طريق آخر للقصة

نبين للقارئ الكريم خاصة طالب هذا الفن وحتى لا يتوهم من لا دراية له بالصناعة الحديثية أن هذا الطريق يقوّي القصة.

فهذا الطريق أخرجه الإمام البيهقي في «شعب الإيمان» (٦/٢٠٢) (ح٣٣٦١) قال: «أخبرنا أبو زكريا المزكي، حدثنا والدي قال: قرئ على محمد بن إسحاق بن خزيمة أن أبا الخطاب زياد بن يحيى الحسّاني أخبرهم:- قال أبو إسحاق وقرأت على أبي العباس الأزهري فقلت: حدثكم أبو الخطاب زياد بن يحيى الحساني- حدثنا سهل بن حماد أبو عتاب، حدثنا جرير بن أيوب البجلي، عن الشعبي عن نافع بن بردة عن أبي مسعود الغفاري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات وأهل رمضان فقال : «لو يعلم العباد ما في رمضان لتمنت أمتي أن يكون السنة كلها». فقال رجل من خزاعة يا نبي الله ، حدثنا فقال... القصة.



يتبين من هذا الطريق الذي جاء من وجهين أنه لم يخرج عن جرير بن أيوب البجلي عن الشعبي عن نافع بن بردة.

فلم يوجد لجرير بن أيوب البجلي متابع فيه متابعة تامة، والعلة باقية وهي جرير بن أيوب البجلي ، وقد بيّنا حاله آنفا أنه منكر الحديث، متروك، ليس بشيء يضع الحديث ، ولقد تبين من قول الإمام ابن حبان أنه كان ممن فحُش خطؤه، وهذا الخطأ الفاحش يتبين :

أ- من رواية أبي يعلى خبر القصة عن جرير بن أيوب البجلي عن الشعبي عن نافع بن بردة عن ابن مسعود .

ب- من رواية البيهقي خبر القصة عن جرير بن أيوب البجلي عن الشعبي عن نافع بن بردة عن أبي مسعود الغفاري بالمقارنة بين الروايتين يتبين أن جرير بن أيوب البجلي كان ممن فحش خطؤه كما بين ذلك الأئمة .

خامسًا: طريق آخر :

أخرج الإمام الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/٣٨٨) (ح٩٦٧) قال : حدثنا محمد بن يعقوب بن سورة البغدادي، حدثنا محمد بن بكار حدثنا الصّاج بن بسطام حدثنا عباد عن نافع عن أبي مسعود الغفاري قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذات يوم وقد أهل شهر رمضان : «لو يعلم العباد ما في شهر رمضان لتمنى العباد أن يكون شهر رمضان السنة كلها، فقال رجل من خزاعة: يا رسول الله حدثنا... القصة».

يتوهم من لا دراية له بالصناعة الحديثية أن هذا الطريق يقوّي الطرق التي تدور على جرير بن أيوب البجلي، والذي بيّنه أئمة الجرح والتعديل أنه منكر الحديث، ليس بشيء، متروك، وضّاع.

وهذا الطريق الذي أخرجه الإمام الطبراني في «الكبير» هو من حديث الهياج بن بسطام والهياج تالف فلا يزيد طريق جرير بن أيوب إلا وهنًا على وهن، فلا يغتر القصاص والوعاظ بكثرة الطرق، فيتوهمون أن كثرة الطرق

فيها تقوية الخبر، وصار هذا مذهبهم لكي يوهموا العامة بأن الأخبار التالفة صحيحة فيقصون عليهم هذه القصص الواهية بغير علم فَيَضلون ويُضلون.

والصناعة الحديثية في تقوية الأخبار بكثرة الطرق تبنى على المتابعات والشواهد، وهي مرتبطة تمام الارتباط بالبحث الدقيق في مراتب الرواة في كل طريق فيها حتى يتبين له مبلغ الضعف فيها، وهذا لا يفقهه إلا أهل الاختصاص ، فهذا هو الحافظ ابن كثير في «اختصاره علوم الحديث» (ص٣٣) ينقل عن الحافظ أبو عمر بن الصلاح فيقول : «قال الشيخ أبو عمرو: لا يلزم من ورود الحديث من طرق متعددة أن يكون حسنًا؛ لأن الضعف يتفاوت؛ فمنه ما لا يزول بالمتابعات، يعني لا يؤثر كونه تابعًا أو متبوعًا كرواية الكذابين والمتروكين». اهـ.

وعلة الطريق الذي أخرجه الطبراني في «الكبير» الهياج بن بسطام:

١- ذكره الحافظ الذهبي في «الميزان» (٩٢٨٧/٣١٨/٤) قال : هياج بن بسطام الهروي: قال أحمد بن حنبل: متروك الحديث، وقال أبو داود : تركوا حديثه .

٢- وفي «سؤالات أبي عبد الرحمن السُّلمي للإمام الدارقطني» (٤٣٢) : قال : «وسألته عن الهياج بن بسطام؟ فقال: ضعيف جدًا». اهـ.

٣- وفي «سؤالات عثمان بن سعيد الدارمي للإمام يحيى بن معين» (٨٥٧) قال: «وسألته عن هياج بن بسطام؟ فقال: ليس بشيء». اهـ.

٤- قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٩٦/٣): «كان مُرجئًا داعية إلى الإرجاء، وكان ممن يروي المعضلات عن الثقات، ويخالف الأثبات فيما يروي عن الثقات؛ فهو ساقط الاحتجاج به». ثم خرج قول يحيى بن معين فيه : «إنه ليس بشيء». اهـ.



قلت : بهذا يتبين أن هذا الطريق يزيد القصة وهنا على وهن، وتصبح القصة بهذا التحقيق واهية موضوعة ، وأقر الإمام الشوكاني في «الفوائد» (ص٨٨) أنها موضوعة.

سادسًا: بدائل صحيحة

يغني عن هذه الواهيات ما أوردناه في سلسلة «درر البحار» القسم الأول صحيح الأحاديث القصار، أحاديث الصيام من الحديث (٢٣٧) حتى الحديث (٢٦٧) هذه مجموعة أولى على سبيل المثال لا الحصر.

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

عزاء واجب

تتقدم أسرة تحرير مجلة التوحيد واللجنة العلمية بخالص العزاء للزميل الأستاذ مصطفى خليل أبو المعاطي سكرتير تحرير المجلة في وفاة والدته رحمها الله ، نسأل الله أن يتغمدها بواسع رحمته ورضوانه .

اللهم بلغنا رمضان

١٤٣٤

رمضان شهر القرآن

إعداد/ أسامة سليمان

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعدُ:

فإن رمضان هو شهر القرآن؛ حيث اختصه الله سبحانه بنزول هذا الكتاب المبارك، فقال سبحانه: (شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ) [البقرة: ١٨٥]، ويقول جل شأنه: (إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ) [القدر: ١]، ولا تعارض بين الآيتين وبين نزوله مُنَجَّمًا مفرَّقًا على النبي صلى الله عليه وسلم على مدار ثلاث وعشرين سنة، فالمقصود بنزوله في ليلة القدر في رمضان أي نزوله من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا جملة واحدة، وهذا هو نزوله الأول، ثم نزل بعد ذلك مفرقًا على خاتم النبيين وإمام المرسلين. [مباحث في علوم القرآن، مناع القطان].

ولأجل هذه الأفضلية لشهر رمضان كان النبي صلى الله عليه وسلم يعتني بالقرآن عناية خاصة في الشهر الكريم؛ حيث كان يعارضه جبريل عليه السلام القرآن في رمضان، وفي العام الذي قُبِضَ فيه صلى الله عليه وسلم دَارَسَه القرآن مرتين، فعن عائشة رضي الله عنها قالت وهي تحكي عن فاطمة رضي الله عنها: « أَسَرَّ إِلَيَّ إِنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي الْقُرْآنَ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً وَإِنَّهُ عَارَضَنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ وَلَا أُرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجَلِي وَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي لَحَاقًا بِي فَبَكَيْتُ فَقَالَ أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَوْ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ فَضَحِكْتُ لِذَلِكَ » [صحيح البخاري ٣٦٢٤].

وللقرآن صفات وفضائل منها:

١- أنه هدى للناس، يهتدون بآياته وأحكامه فيُخرجهم من الظلمات إلى النور، من ظلمات الشرك والجهل إلى نور التوحيد والعلم، يقول سبحانه: (إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ) [الإسراء:

٩]، ويقول سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢].

٢- أنه شفاء للصدور من الشُبه والشكوك والريب والأمراض، يقول جل شأنه: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]، ويقول سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤].

٣- أنه نور يهدي العباد إلى طريق الخلاص، قال سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤].

٤- أنه مبارك يصدق كتب السابقين ويهيمن عليها، يقول الله سبحانه: ﴿وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الأنعام: ٩٢].

٥- أنه مبين لا يحتاج إلى عناء في فهم آياته، فقد يسّره الله وبين آياته، يقول جل شأنه: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧]، ويقول سبحانه: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥]، فهو واضح المعاني ميسور الألفاظ. [تفسير ابن كثير ٤/٤١١].

٦- أنه عزيز، وأنه فصَّل الأحكام وبيَّن العقائد، وقصَّ من قصص السابقين، وضُربت به الأمثال، يقول سبحانه: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١]، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ﴾ [فصلت: ٤١].

٧- أنه بشير ونذير، فهو يبشر المتقين وينذر العصاة الغافلين، يقول سبحانه: ﴿كِتَـٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [فصلت: ٣- ٤].

حال السلف مع القرآن في رمضان

ولما كان ثمة علاقة وطيدة ورباط وثيق بين القرآن ورمضان، تلك العلاقة التي يشعر بها المسلم من أول يوم من أيام الشهر الكريم كان السلف رحمهم الله يقبلون على القرآن فيخصصون له جزءًا كبيرًا من وقتهم وربما تركوا العلم ومدارسته لأجل تلاوة القرآن وتدبر آياته.

فهذا ذو النورين عثمان رضي الله عنه يختمه في كل يوم مرة، ومالك رضي الله عنه كان يغلق كتب العلم والحديث والفقه ولا ينشغل بغير القرآن، وكان محمد بن شهاب الزهري رحمه الله إذا دخل رمضان قال: إنما هي خصلتان: قراءة القرآن وإطعام الطعام، ولا يشتغل بغيرهما، وكان للشافعي رحمه الله ستين ختمة في رمضان.

ولسائل أن يقول: كيف أمكن لهم ذلك؟! فنقول (اجتهادًا والله أعلم):

أولاً: أنهم كانوا معانين من الله، وثانيًا ما كانوا يشتغلون بشيء سوى القرآن، فكان رب العالمين يبارك لهم في أوقاتهم وأعمارهم، وهذا أمر يسير على من يسَّره الله عليه.

فحري بنا إخوتي أن نجعل من هذا الشهر فرصة لتقوية صلتنا بالقرآن، ولنعلم أن القرآن يقول لرب العالمين عن قارئه: «منعته النوم بالليل فشفعني فيه»، وإن الماهر به مع الكرام السفرة، وإن قارئ القرآن يُقال له في جنة الخلد، اقرأ ورتل وارتق، فإن منزلتك عند آخر آية، وخير العباد عند الله من تعلم القرآن وعلّمه، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم، وصدق عثمان رضي الله عنه إذ يقول: لو طهرت قلوبكم ما شبعتم من كلام ربكم، ورحم الله الفضيل بن عياض الذي سمع قول الله: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦] فتاب إلى الله توبة نصوحًا بعد أن كان يقطع على الناس طرقهم، وجاور البيت الحرام بعد توبته.

فانظر رحمك الله إلى آية من كتاب الله نقلت الفضيل من الشقاء إلى السعادة، ومن الضلال إلى الهدى.

حال المعرض عن القرآن

أما أهل المعاصي والفجور فهم لا ينتفعون به لإعراضهم عنه وهجرانهم له وانكبابهم على شهواتهم، قال الله تعالى: (وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا) [الإسراء: ٤٥].

قال ابن كثير رحمه الله: إنهم عدلوا عنه إلى غيره من شعر أو قول أو غناء أو كلام. [تفسير ابن كثير ٣/٥٠٧].

ولعل الحافظ ابن كثير يشير إلى تلك البيوت التي غفلت عن ذكر الرحمن وعلا ضجيجها بمزمار الشيطان حتى انتشرت الشياطين في أرجائها، وجالت في قلوب أصحابها، فكثرت فيهم الأمراض النفسية والانفعالات العصبية لاستحواذ الشيطان عليهم، قال الله سبحانه: (اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ) [المجادلة: ١٩].

فكن أخي من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته، وأقْبلْ عليه يُقبل عليك، واحرص على فهمه والعمل بأحكامه تُكتب لك السعادة في الدنيا والآخرة، (فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ) [طه: ١٢٣].

ويستحب لقارئ القرآن الكريم أن يراعي آداب تلاوته، والتي منها:

١- أن يكون على وضوء؛ لأن ذلك من أفضل الذكر والقربات إلى الله عز وجل.

٢- أن يكون في مكان نظيف طاهر مراعاةً لجلال القراءة.

٣- أن يقرأ بخشوع وسكينة ووقار.

٤- أن يستاك قبل البدء في القراءة.

٥- أن يتعوذ في بداية القراءة، وذهب بعض العلماء إلى وجوبها، يقول سبحانه: (فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) [النحل: ٩٨].

٦- أن يحافظ على البسملة في مطلع كل سورة عدا «التوبة» لاتصالها بسورة الأنفال.

٧- أن تكون قراءته ترتيلًا يعطي الحروف حقها من المد والإدغام والتفخيم والترقيق، يقول سبحانه: (وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا) [المزمل: ٤]، يقول ابن مسعود رضي الله عنه عندما قال له رجل إني أقرأ المفصل في ركعة واحدة. قال ابن مسعود له: إن قومًا يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع. [أخرجه البخاري]، وقال الزركشي في البرهان: كمال الترتيل: تضخيم ألفاظه، والإبانة في حروفه، وألا يدغم حرف في حرف].

٨- أن يتدبر ما يقرأ؛ لأن هذا هو المقصود الأعظم والمطلوب الأهم، وذلك أن يشغل قلبه بالتفكر في معنى ما يقرأ، حيث كان صلى الله عليه وسلم عند قراءته إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بآية بها تعوذ استعاذ، وإذا مر بسؤال سأل. رواه مسلم.

٩- أن يحسّن صوته بالقراءة، فإن القرآن زينة للصوت، والصوت الحسن أوقع في النفس، وفي الحديث: «زينوا القرآن بأصواتكم». رواه النسائي وصححه الألباني.

١٠- أن يجهر بالقراءة حيث يكون الجهر أفضل؛ لما يكون فيه من إيقاظ القلب، وتجديد النشاط، وانصراف السمع إلى القراءة وتعدي نفعها للسامعين، أما إذا خشي الرياء أو كان فيه أذى للناس فإن الإسرار يكون أفضل. [مباحث علوم القرآن ص١٨٠، ١٨١].

أخي في الله: من أجل فضائل القرآن عامة، وبيان اعتناء النبي صلى الله عليه وسلم به في رمضان خاصة، كما سبق قريبًا ، هيا بنا نقبل عليه، وقد أظلنا هذا الشهر الفضيل متأسين في ذلك بنبينا صلى الله عليه وسلم، وراغبين في فضل ومغفرة ربنا.

والله من وراء القصد.

1434

خطورة الغفلة عن مواسم الخير..

الأعمار قصيرة.. فلا تضيعوها بالغفلة

■■ الحمد لله رب العالمين، سبحانه له الحمد الحسن والثناء الجميل، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فلا ينكر كل ذي بصيرة ذلك الانفصام الواقع في حياة كثير من المسلمين، بين عقائد وأصول غرسها الإسلام فيهم، وبين مسالك عملية ومناهج في الحياة مخالفة لهدي الإسلام، فجميع الناس يؤمنون بأن الأعمار قصيرة والآجال مكتوبة، والأرزاق مقسومة مضمونة، ومع هذا الإيمان القولي إلا أن المسلك العملي في وادٍ والأقوال في واد، وسيطرت الغفلة على كثير منا.

ومن العجب لجوء كثير من الناس في هذا الزمان إلى الاحتماء من المهالك في الأبدان والأموال، وسلكوا كل سبيل ينجّي أبدانهم وأموالهم وأولادهم، وغفل كثير منهم عن وقاية روحه من أسباب الخسران، فولج كثير منهم أبواب الغي ثم لا يُقصرون، وأتوا بغرائب الذنوب وعجائب الآثام في شتى شئون حياتهم؛ في أفراحهم وأحزانهم، وسائر أعمالهم وعلاقاتهم في الأعمال والبيوت، والشوارع، وغيرها. ■■

إعداد/ عبد العزيز مصطفى الشامي

ومن رحمة الله بعباده أن يهيئ لهم مواسم فاضلة ومواعظ طيبة تذكرهم ليخرجوا عن داعي الغفلة إلى التذكر والاتعاظ، فتأتي العبادَ الموعظة من ربهم تلو الموعظة في كل وقت وحين (وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا) [الكهف: ٤٩]، عبر خطبة يسمعونها، أو حكمة تُلقى إليهم، أو عبرةٍ من حادث، أو موت قريبٍ، أو صديق، فكل فترةٍ يسمع الإنسان عن موت فلان، أو حادثة لفلان، حتى يضرب الموت بأطنابه في بيته، فيصيب الموت زوجه أو أخًا أو ابنًا له، حتى يشعر بفقد هذا القريب كأنه قد فَقَد بعضه، وسُلب شيئًا من جسده، ويبدأ في العظة والاعتبار، وينظر لنفسه ويتفكر في غفلته، ويا ليت هذا الأمر يدوم ويستمر؛ فلعله ينتفع بالموعظة ويصلح الله حاله وهو القائل سبحانه وتعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ) [الرعد: ١١]، وإنما هي أيام ويعود إلى سيرته الأولى، وتلك هي الغفلة!!

أسوأ الغفلة:

وأسوأ الغفلة: الغفلة عن أنفاس الحياة التي تضيع سدًى وبلا فائدة، وانهماك الإنسان في المعاصي والمحرمات.

وأقبح الغفلة: الغفلة عن مواسم الطاعات، والرحمات والبركات، كرمضان وغيره من أبواب الخير والطاعات، فلا يستشعر العبد فضائله، ولا يتعرض لرحماته، فيمر رمضان وغيره، وهو على ما هو عليه مقيم، وإنما قد يؤجل الذنوب فقط لما بعد رمضان.

ومن الغفلة: إلف العادة، وتعود الصلاة والصوم، والقيام بالعبادات دون التفكر فيها والاتعاظ بها، فيؤديها دون أن يغتنمها أو تؤثر في حياته وتؤدي إلى صلاح حاله مع الله سبحانه.

إن الغفلة للنفوس ضياع لها، قال الله تبارك وتعالى: (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) [الحشر: ١٩]، فما تزال الغفلة بالعبد إلى أن ينسى نفسه وينسى كثيرًا من دينه فيترك الذكر ويضيّع الفرائض، ويترك السنن الراتبة، والنوافل.

إن الله سبحانه ينادي عباده ويوجههم إلى أن يفيقوا من غفلتهم، وينيبوا إلى ربهم، قال تعالى: (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ

اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ) [الحديد: ١٦].

ومن غفلتنا أننا لا نفكر في مثل هذه الآيات الموقظة للقلوب، ولكن انظر كيف فهمها الصحابة الكرام، فعن ابْنَ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: مَا كَانَ بَيْنَ إِسْلَامِنَا وَبَيْنَ أَنْ عَاتَبَنَا اللَّهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ) إِلَّا أَرْبَعُ سِنِينَ. [مسلم ٣٠٢٧].

جفاف الأرواح:

إن مما صار شائعًا أن ترى بعض العاملين في حقل الدعوة، وقد شُغلوا بضروب من أعمال الخير، لكن الجانب الروحي لديهم صار ذابلًا، وأقرب إلى الجفاف بسبب إفراغ طاقاتهم في السعي إلى تحقيق أهداف عامة، دون أن يطبعوا على ذلك الجانب الروحي بما يحمله من نوايا صالحة ومنهج تربوي منضبط بالكتاب والسنة.

قال الله تعالى في الحديث القدسي: «ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه...» الحديث.

مريض الغفلة على خطر عظيم:

إن مريض الغفلة على خطر كبير، قال ابن القيم رحمه الله: (الغفلة تتولد عن المعصية كما يتولد الزرع عن الماء والحرارة عن النار، وجلاءه بالذكر، وإن القلب ليمرض كما يمرض البدن وشفاؤه بالتوبة والحمية، ويصدأ كما تصدأ المرآة، وجلاءه بالذكر، ويعرى كما يعرى الجسم، وزينته التقوى، ويجوع ويظمأ كما يجوع البدن، وطعامه وشرابه المعرفة والمحبة والتوكل والإنابة) [الفوائد ١/ ٩٨].

ولقد مات عند الكثير من أهل الغفلة الشعور بالذنب، ومات عندهم الشعور بالتقصير، حتى ظن الكثير منهم أنه على خير عظيم، ونسي المعاصي والمخالفات التي يستهين بها ولا يلقي لها بالًا ويظن أنها لا تضره شيئًا وهي التي قد تكون سببًا لهلاكه وخسارته في الدنيا والآخرة وهو لا يشعر لقوله: (إياكم ومحقرات الذنوب فإنها إذا اجتمعت على العبد أهلكته) [أخرجه أحمد ٢٢٨٦٠، وصححه الألباني]، ناهيك عن ما يرتكبه البعض من كبائر وموبقات في أيام عمره.

قال ابن القيم رحمه الله: (خراب القلب من الأمن والغفلة، وعمارته من الخشية والذكر) [الفوائد ١/ ٩٨]. فإذا عرفت أن قلبك حي بذكر الله ومراقبته في جميع الأحوال، فاحمد الله وأسأله الثبات على هذه النعمة ولا تنس شكرها، فبالشكر تدوم النعم، وأما إن كان غافلًا فاعلم أنه مريض يحتاج إلى علاج سريع وعملي لا يقوم بها إلا أنت، فالعلاج بيدك وحدك، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ) [الرعد:١١].

ومن عجب أن ترى الإنسان إذا علم أن به مرضًا معينًا قلق وزاد همه، وحرص على علاجه بأسرع وقت، لاسيما إذا كان مرضه خطيرًا، ولا يحرك هذا الشخص ساكنًا، بل وينام قرير العين إذا علم أنه مبتلي بالغفلة، قال تعالى: (وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا) [الكهف:٢٨]، وهذا المرض هو الذي يجب على الإنسان أن يفطن له ويبدأ بعلاجه قبل أي مرض آخر.

نعمة الوقت والغفلة عن اغتنامه:

إن الفراغ داء قتال للفكر والعقل والطاقات الجسمية وهو في نفس الوقت نعمة يجب أن تغتنم؛ إذ النفس لا بد لها من حركة وعمل، فإذا كانت فارغة من ذلك تبلد الفكر والعقل وضعفت حركة النفس، واستولت الوساوس والأفكار الرديئة على القلب، وربما حدث له إرادات سيئة شريرة ينفس بها عن هذا الكبت الذي أصابه من الفراغ. وقد نبَّه المصطفى -صلى الله عليه وسلم- إلى ذلك فقال: «نعمتان من نعم الله مغبون فيها كثير من الناس: الصحة والفراغ» [البخاري ٦٤١٢].

من وسائل علاج مرض الغفلة:

أولًا: حسن الصلة بالله والإكثار من ذكره سبحانه:

إن الصلة بالله تعالى هي أساس كل عبادة، وإن أدب الوقت يقتضي من المربين والعلماء

الناصحين التوجيه والحث على إثراء حياة المسلمين والمسلمات بالأعمال الروحية وعلى رأسها الذكر حتى لا يقعوا في مصيدة النسيان واللهو والإعراض عن الله تعالى.

فهناك الكثير من النصوص التي تحث المسلم على أن يكون كثير الذكر والمراقبة لله تعالى حتى يصل إلى مرحلة الحب لله سبحانه والفرح بقربه والاستئناس بذكره، قال الله سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) [الأحزاب: ٤١-٤٢]، وقال تبارك وتعالى: (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) [العنكبوت: ٤٥]، وفي الحديث: (مثل الذي يذكر ربه ولا يذكره كمثل الحي والميت) [رواه البخاري ٦٤٠٧].

ولو رجعنا إلى ما حثت عليه النصوص من الذكر، مما يسمى بعمل اليوم والليلة لوجدنا أن الالتزام بذلك يجعل المسلم لا يكاد ينفك عن تسبيح وتحميد، وتهليل واستغفار، وتضرع ودعاء، ما دام مستيقظًا.

إن كثرة ذكر الله تعالى تولّد لدى المسلم الحياءَ منه وحبه، وتنشّطه للسعي في مرضاته، كما تملأ قلبه بالطمأنينة والأمان والسعادة؛ لينعم بكل ذلك في أجواء الحياة المادية الصاخبة.

ثانيًا: الحرص على اغتنام الأعمار في الأعمال الصالحة:

ومن وسائل علاج مرض الغفلة: أن يحرص المسلمون على اغتنام أوقاتهم وأعمارهم في الأعمال الصالحة، فيما يفيد من عبادة الله سبحانه، ثم الانشغال بالعمل الدنيوي النافع، ومما يروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «إني لأرى الرجل فيعجبني، فإذا سألت عنه فقيل لا حرفة له، سقط من عيني». وقال أيضًا: «إني لأكره أن أرى أحدكم سبهللًا (أي فارغًا) لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة». وقال حكيم: من أمضى يومًا من عمره في غير حق قضاه، أو فرض أداه، أو مجد أثله، أو حمد حصله، أو خير أسسه، أو علم اقتبسه، فقد عق يومه، وظلم نفسه! [المقاصد الحسنة للسخاوي /٢٠٩].

ثالثًا: الدعاء:

إن مما يحسن بالعبد أن يكون منيبًا إلى ربه، خائفًا من ذنبه، بصيرًا بما يصلح به خلل نفسه، والدعاء باب عظيم لعلاج مرض الغفلة، وكيف لا، قد قال تعالى: «وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ» [غافر: ٦٠]، فالدعاء مفتاح أبواب السماء الذي يرجو به المؤمن رحمة ربه، ويبتغي به رضوانه.

فعلى الإنسان منا أن يفتقر إلى ربه ويتذلل بين يديه ويناجي ربه أن يصرف عنه شر الغفلة، وأن يكون العبد عظيم الرجاء في ربه حَسَن الظن فيه، فقد كان من دعائه صلى الله عليه وسلم: «اللهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا، لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ كُلُّهُ بِيَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، وَتَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ» [صحيح مسلم ٧٧١]، فلا يوفق العبدَ لليقظة واستبصار طريق الحق واغتنام العمر في الباقيات الصالحات إلا الله تعالى، ولا يعين العبدَ على الانصراف عن الشر إلا الله سبحانه بعد عزم العبد وسيره في طريق القرب من ربه سبحانه.

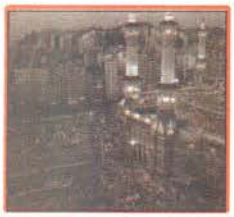
احذر من ضياع رمضان

لقد أظلتنا أيام غالية، ستمر كما مر ما قبلها، ولكن هل ربحت تجارتك فيها أم خسرت، هل ازددت قربًا من ربك أم زدت عنه بُعدًا، هل آواك ربك ونصرك وسددك وأعانك، أم تجد الأخرى من ضنك الحياة، إن الغفلة عن هذه الأيام وتضييعها ليست من سمات الصالحين، وإنما الصالحون يهتفون دائمًا: «وعجلت إليك رب لترضى» قولاً وعملاً واعتقادًا، فرضًا ونفلاً، وإحسانًا.

فاللهم اصرف عنا الغفلة، وانفعنا بما يقربنا منك يا كريم.







يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعدُ:

فإنَّ من أعظم آلاء الله على عباده: ما شرع لهم من العبادات العظيمة، والمواسم الكريمة، التي بها تزكو نفوسهم، وتعلو هممهم، إلا وإنَّ من أجلِّ هذه المناسبات زمنًا، وأعظمها قدرًا، وأبعدها أثرًا: هذا الوافدُ الحبيب، والضيف العزيز، والشهر الكريم: «شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ» [البقرة: ١٨٥].

إعداد/ إعداد: عبده الأقرع

إنَّ واجب الأحياء استشعارُ هذه النعمة، واغتنام هذه الفرصة، إنها إن فاتت كانت حسرة ما بعدها حسرة، أي خسارةٍ أعظمُ من أن يدخل المرءُ فيمن عناهم المصطفى صلى الله عليه وسلم بقوله على منبره في مساءلة بينه وبين جبريل الأمين: «من أدرك شهر رمضان فلم يُغفر له فدخل النار فأبعده الله، قل: آمين، فقلت: آمين».[صحيح الترغيب للألباني: ٩٩٧].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِحَتْ أَبْوَابُ الْجِنَانِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ وَنَادَى مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ وَذَلِكَ عِنْدَ كُلِّ لَيْلَةٍ». [الترمذي ٦٨٢ وصححه الألباني].

هل من متعرض لنفحات المولى جل وعلا؟!

فهذه مواسم المتاجرة مع الله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «افعلوا الخير دهركم، وتعرضوا لنفحات رحمة الله، فإنَّ لله نفحات من رحمته، يصيب بها من يشاء من عباده، وسلوا الله أن يسدوا عوراتكم وأن يُؤمن روعاتكم». [السلسلة الصحيحة للألباني: ١٨٩٠].

فهذه فرصة للطائعين للاستزادة من العمل الصالح، وفرصة للمذنبين للتوبة والإنابة، فـ«يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر».

وأمر الله تعالى بالتنافس في الطاعات والتسابق في الخيرات فقال تعالى: «سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ» [الحديد: ٢١]. وأمر الله تعالى بالتنافس في الطاعات، والتسابق في الخيرات.

وقد ضرب صلى الله عليه وسلم المثل





الأعلى في كل ميدان من ميادين الخير، فعَنْ عُقْبَةَ بن عامر قال: صَلَّيْتُ وَرَاءَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ الْعَصْرَ فَسَلَّمَ ثُمَّ قَامَ مُسْرِعًا فَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ إِلَى بَعْضِ حُجَرِ نِسَائِهِ فَفَزِعَ النَّاسُ مِنْ سُرْعَتِهِ فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ فَرَأَى أَنَّهُمْ عَجِبُوا مِنْ سُرْعَتِهِ فَقَالَ: ذَكَرْتُ شَيْئًا مِنْ تِبْرٍ عِنْدَنَا فَكَرِهْتُ أَنْ يَحْبِسَنِي فَأَمَرْتُ بِقِسْمَتِهِ» [البخاري: ٨٥١].

تنافس السلف في الطاعات

ولقد تأسى سلفنا الصالح -رضوان الله عليهم- بالنبي صلى الله عليه وسلم في علو الهمة في التنافس في الطاعات والتسابق في الخير، فهذا صديق الأمة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلَى مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ كُلِّهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ» [صحيح البخاري: ١٧٩٨].

عجل بالتوبة

فـ«يا باغي الخير أقبل» أقبل بسرعة، وإياك والتسويف؛ فإنه لا يأتي بخير، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ أَجْرًا؟ قَالَ: «أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ تَخْشَى الْفَقْرَ وَتَأْمُلُ الْغِنَى، وَلَا تُمْهِلُ حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ الْحُلْقُومَ قُلْتَ لِفُلَانٍ كَذَا وَلِفُلَانٍ كَذَا، وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ». [متفق عليه: البخاري: ١٤١٩، ومسلم: ١٠٣٢].

و«يا باغي الشر أقصر» فإنَّ شهر رمضان فرصة عظيمة للتوبة، فجدّ أخي في التوبة وسارع إليها، وهُبَّ من الغفلة، واعلم أن خير أيامك يوم العودة إلى الله عزَّ وجلَّ تائبًا.

فقد جاء في قصة توبة كعب بن مالك رضي الله عنه أنه قال: «فلمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنْ السُّرُورِ: أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ». [متفق عليه: البخاري: ٤٤١٨، ومسلم: ٢٧٦٩].

عواقب المعاصي:

«يا باغي الشر أقصر» فإنَّ للمعاصي شؤمها، ولها عواقبها في النفس والأهل، في البر والبحر، تضل بها الأهواء، وتفسد بها الأجواء.

بالمعاصي يهون العبد على ربه، فيرفع مهابته من قلوب خلقه: «وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ» [الحج: ١٨]. يقول الحسن رحمه الله: «هانوا عليه فعصوه، ولو عزوا عليه لعصمهم».

أخرج الإمام أحمد في مسنده عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه قال: لما فتحت قبرص رأيت أبا الدرداء جالسًا وحده يبكي، فقلت: يا أبا الدرداء ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله؟ فقال: ويحك يا جبير؛ ما أهون الخلق على الله إذا أضاعوا أمره، بينما هي أمة قاهرة ظاهرة لهم الملك تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى.

بسبب الذنوب والآثام تزول النعم وتحلُ النقم، قال الله تعالى: «فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ» [العنكبوت: ٤٠].

وإذا ابتلى العبد بالمعاصي استوحش قلبه، وضعفت بأهل الخير والصلاح صلته، وجفاه الصالحون من أهله وأقاربه، حتى قال بعض السلف: «إني لأعصى الله فأرى ذلك في خلق امرأتي ودابتي». ومن قارف المعاصي ولازمها تولد في قلبه الاستئناس بها وقبولها، ولا يزال كذلك حتى يذهب عنه استقباحها، ثم يبدأ بالمجاهرة بها وإعلانها، قال صلى الله عليه وسلم: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَاةٌ إِلاَّ الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الإِجْهَارِ أَنْ يَعْمَلَ الْعَبْدُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا ثُمَّ يُصْبِحُ قَدْ سَتَرَهُ رَبُّهُ، فَيَقُولُ يَا فُلاَنُ قَدْ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ فَيَبِيتُ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ». [متفق عليه: البخاري (٥٠١/١٠)، ومسلم (٢٢٩١/٤)].

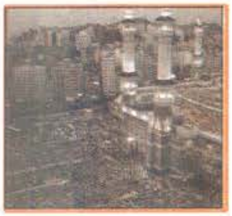
ومن آثار الذنوب السيئة: أن الذنب بعد الذنب يقطعُ طرق الطاعة، ويصدُّ عن سبل الخيرات، ومن ثَمَّ يقسو القلب، فيا إخواني- احذروا السيئات واستكثروا من الحسنات، يقول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «إنَّ للحسنة ضياءً في الوجه، ونورًا في القلب، وسعةً في الرزق، وقوة في البدن، ومحبةً في قلوب الخلق، وإن للسيئة سوادًا في الوجه، وظلمة في القلب، ووهنًا في البدن، ونقصًا في الرزق، وبُغضةً في قلوب الخلق».

شهر رمضان نقطة تحول:

فـ «يا باغي الشر أقصر» واجعل شهر رمضان نقطة تحول في حياتك، من السيئ إلى الحسن، ومن الحسن إلى الأحسن، واعلم أن من نعم الله عليك إدراكك شهر رمضان، شهر مضاعفة الحسنات، ورفعة الدرجات، ومغفرة الذنوب والسيئات، وإقالة العثرات.







فيا أيها التاركون لما أوجب الله، من صلاة وزكاة، وبر وصلة، المرتكبون ما حرم الله من شرك، أو قتل نفس، أو سحر، أو منع زكاة، أو أكل ربا، أو زنًا ولواط، أو شهادة زور أو قذف محصنات، أو شرب خمر أو لعب قمار، أو ظلم أو أكل حرام، أو غيبة أو نميمة أو بهتان، أو أكل مال يتيم ظلمًا أو أكل ميراث، أو تبرج، أو غير ذلك من المعاصي والآثام، التوبةَ التوبةَ قبل فوات الأوان. فمن كان يرجو لقاء ربه فليقلع عن ذنبه، وليحل عقدة الإصرار، ممتثلاً أمر ربه الرحيم الرحمن: «قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ» [الزمر: ٥٣-٥٩].

اللهم تب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

بشائر النصر مع شهر الصبر ١٤٣٤

إعداد/ د. محمد يسري

الحمد لله رب العالمين، أكرمنا بخير دين، وأنعم علينا بخاتم المرسلين، وجعل الصيام من الصبر، وجعل النصر مع الصبر، والفرج مع الكرب، وجعل من بعد العسر يسرًا. وصلى الله وسلم على من علمنا الصيام والقيام، وشرع لنا الشرائع والأحكام، وجاهد مع أمته وبها في الله حتى أتاه اليقين، فصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

ثم أما بعد:

ففضائل الشهر المعظم مباركة القسمات، متواترة البركات، ومتتابعة الرحمات، فهو فوق المغفرة والعتق من النار يفتح بابًا لنصرة الأخيار، ويقوم سببًا لتمكين الأبرار! فكما هو شهر الصبر والعبادة فهو أيضا شهر النصر والنصرة والمجاهدة، وما أشد الارتباط بين العبادات وتحقيق الانتصارات، وكما أرسل نبينا صلى الله عليه وسلم عابدًا معلمًا، ومربيًا ومزكيًا، فقد بعث مجاهدًا وغازيًا!

كيف لا وهو الذي قال صلى الله عليه وسلم: «بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله لا شريك له». [أحمد: ٥١١٤]، وهو الذي قال صلى الله عليه وسلم: «أمرت أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة...» [البخاري: ٢٥، ومسلم: ٢١]..

ومع كونه نبي الرحمة وداعيًا إلى الله بالرحمة ومتواصيًا بالمرحمة، فهو أيضًا نبي الملحمة، وقد قال عن نفسه الشريفة صلى الله عليه وسلم: «أنا محمد، وأحمد... ونبي التوبة، ونبي الملحمة». [البخاري: ١٩٥٢٥].

فغاية الأمة من جهادها مرضاة ربها بالتمكين لعقيدة «لا إله إلا الله محمد رسول الله» ودفع فتنة الشرك والاستعباد عن جميع الخلق وسائر العباد! «وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ» [البقرة: ١٩٣].

فالجهاد تارةً يكون دفعًا عن الإسلام وبيضته، وحمايةً للدين وحوزته، وتارة يكون طلبًا لنشر عقيدته والتمكين لشريعته!

وليس للمسلمين حاجة في إزهاق نفوس معصومة، أو التخوّض في أموال مصونة، ولكن الهمة مصروفة إلى تحقيق موعود نبينا صلى الله عليه وسلم، «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها». [مسلم: ٢٨٨٩].

وما يزال المسلمون يطلبون بالجهاد موعود ربهم، الذي بلغهم على لسان الصادق الوعد نبيهم صلوات الله وسلامه عليه، وعلى مر العصور وكر الدهور لا يتسرب إليهم شك في أن الله منجز لهم ما وعد، وأن وعده إن تأخر فإنه لا يتخلف ولا يخلف لا في الدنيا ولا في الآخرة!

وقد قال تعالى: «إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ» [غافر: ٥١].

ولما رفع النبي المصطفى صلوات الله وسلامه عليه كف الضراعة والابتهال يوم الفرقان من

رمضان فقال: «اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض». [مسلم: ١٧٦٣]. أنجز الله وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم المشركين وحده، وأرسل الله تعالى معونته وتثبيته وحفظه ومدده مع ملائكته، «إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ» [الأنفال: ١٢].

وهكذا كتب الله أول نصر وعزٍّ أعزَّ الله به الإسلام وأهله في شهر القرآن، وفي يوم الفرقان من رمضان وفي السنة الثانية من هجرة النبي العدنان.

ثم كان الفتح العظيم والوعد الصادق الكريم المستدل عليه بقول الحق «إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ» [القصص: ٨٥]. نعم لقد عاد النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة في رمضان من السنة الثامنة من هجرته، وهو يرفع رأس النصر والعزة والتمكين، ويخفض رأس التواضع والذلة لرب العالمين، تاليًا قول الحق تعالى: «وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا» [الإسراء: ٨١].

وبفتح مكة دخلت الجزيرة بأكملها في دين الله تعالى وتسابق الخلق إلى الدين الحق، قال تعالى: «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا» [سورة النصر].

وما فتئ أصحاب نبينا صلى الله عليه وسلم وما برحوا يقاتلون على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم، فلم يهنوا ولم يحزنوا ولم يتوانوا عن جهاد أعدائهم بعد وفاة نبيهم صلى الله عليه وسلم، بل جاهدوا يطلبون موعود رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعده لأمته.

وفي رمضان النصر سنة ١٣ هـ، وبقيادة المثنى بن حارثة رضي الله عنه التقى الجيش الإسلامي بالجيش الفارسي عند نهر البويب بالعراق، فأمكن الله من الفرس المجوس في موقعة البويب والتي تعدل اليرموك من بلاد الشام، حيث قتل قائدهم وأغنمهم الله مالًا كثيرًا وخيرًا وفيرًا.

ولما فتح عمرو بن العاص رضي الله عنه مصر واستتب أمره؛ سير حملة لافتتاح بلاد النوبة النصرانية وكان ذلك في رمضان سنة ٣١ هـ.

وبعد انتهاء جيل الصحابة راضيًا مرضيًا سار التابعون وتابعوهم على منوال أسلافهم الصالحين يحملون الدين إلى العالمين حتى يبلغ ما بلغ الليل والنهار بعز عزيز أو بذل ذليل، فلم يتوقفوا عند الشمال الأفريقي وإنما جاوزوا البحر ليتوغلوا في قلب أوروبا ويقفوا على حدود جبال البرانس بين إسبانيا وفرنسا، وكان الحلم الحقيقي لهم أن يخترقوا القارة الأوروبية حتى يصلوا إلى الوعد الحق بافتتاح القسطنطينية التي حاولها الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه عام ٣٢هـ فلم يبلغها، ثم معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه عام ٤٤ هـ، ثم ٤٩ هـ وحاصرها سبع سنين فلم يمكنه الله منها، ثم حاولها من بعده عبد الملك بن مروان، ثم سليمان بن عبد الملك الأمويون، ثم حاولها العباسيون في عهد المهدي وعلى يدي ابنه الرشيد سنة ١٦٥ هـ، ثم حاولها السلطان العثماني بايزيد الملقب بالصاعقة وكاد ينجح إلا أن الله تعالى ادخر الفضل لمن سبق به العلم، وكتب القلم اسمه بمداد الشرف، وهو السلطان الفاتح محمد بن مراد سنة ٨٥٧ هـ.

وعلى كل فقد ظلت فكرة فتح فرنسا حلمًا يراود قادة المسلمين واحدًا بعد الآخر، فهذا والي الأندلس الحر بن عبد الرحمن الثقفي يدخل جنوب فرنسا، ويفتح مدينة «أربونة» ويجعلها قاعدة الانطلاق للجهاد، ويؤكد الفتح السمح بن مالك الخولاني لكنه استشهد في «تولوز»، ثم جرد سيوف العزم القائد عبد الرحمن الغافقي فاكتسح الجنوب الفرنسي سنة ١١٤ هـ، وسقطت مدينة «بوردو» كبرى

المدن الفرنسية آنذاك، ثم أعقبتها مدن «ليون» «وسانس»، وأصبح جند التابعين على بعد مائة ميل من «باريس» ثم سقطت مدينة «تور» فاجتمعت أوروبا النصرانية لمواجهة المد الإسلامي عند مدينة «بواتييه» ووقعت بينهما موقعة تاريخية، وفي أواخر شعبان من ذلك العام نشب القتال، وبعد سبعة أيام من قتال مرير لاحت بشائر النصر في ثامن أيام القتال، وسقطت غنائم كثيرة فاشتغل المسلمون بجمعها، وبناء معسكرات لحفظها حتى أرهقت المسلمين من تكدسها.

فلما رأى الأعداء أن المسلمين شغلتهم غنائمهم كروا عليهم من كل حدب وصوب فتصدع الجمع وتولى النصر، وأقبل القائد الغافقي مترجلًا عن فرسه، مقاتلًا في سبيل ربه، متعجِّلًا أجر الشهادة ومحصلًا برد غنيمتها، فلقي مع كوكبة كبيرة من المجاهدين في بلاط الشهداء فضلها ونالوا مرتبتها بإذن الله.

وما زال تابع التابعين وتابعوهم على الإثر يسلكون وبالأثر يقتدون؛ فلستٍّ خلون من رمضان المعظَّم أناخ المعتصم العباسي بكلكل جنده على عمورية من عام ٢٣٢ هـ نصرة للإسلام وأهله لما بلغه ما نال حرمات المسلمين من الأذى، فلم يزد عن قوله لبيك وقد خلد فتحها أبو تمام فقال:

السيف أصدق إنباءً من الكتب
في حدِّه الحدُّ بين الجدِّ واللعب

ثم كانت معركة المنصورة، في رمضان سنة ٦٤٧ هـ ضد الجيش الصليبي بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا الذي اتصل بالمغول ودخل دمياط حتى وصل المنصورة فقاتله المجاهدون المصريون بقيادة فخر الدين بن الجويني، وبحضور ودعم سلطان العلماء العز بن عبد السلام، وانتهى اللقاء الرمضاني بأسر لويس التاسع وسجنه، وأسر مائة ألف معه، وقتل عشرة آلاف.

ومن بعد عمورية أطلَّت عين جالوت بأرض فلسطين الحبيبة، وفي رمضان من عام ٦٥٨ هـ قهر المظفر قطز وقائده الظاهر بيبرس جيش المغول وأسروا قائد جيشهم فأمر قطز بقتله فقتل.

وبعد أقل من خمسين سنة وبالتحديد سنة ٧٠٢ هـ وصل التتر إلى حمص وبعلبك، وعاثوا في الأرض فسادًا، فتصدى لهم العلماء قبل الأمراء، وأقسم الخلق على قتال التتر بحضرة العلماء والفقهاء، وكان الشيخ ابن تيمية يدور على الجند وأمراء الجيش يثبت قلوبهم ويعدهُم بالنصر المظفر، فما مضى من شهر النصر والصبر إلا ليلتان حتى عمل السيف في رقاب التتر ليلًا ونهارًا وثبت أهل الشام في موقعة شقحب الشهيرة، وقطع دابر الظالمين والحمد لله رب العالمين.

وفي رمضان من عام ٨٢٩ هـ فتح المجاهدون المصريون نيقوسيا عاصمة قبرص، وأسروا ملكها ودخلت في سلطان دولة المماليك.

وفي العصر الحديث كم استغاث في رمضان وغيره المستضعفون من كل صقع ومصر فلم يجبهم إلا رجع الصدى!

ربَّ ومعتصماه انطلقت
ملء أفواه الصبايا اليتَّم
لامست أسماعهم لكنها
لم تلامس نخوة المعتصم

وأخيرًا وليس آخرًا فإن العصر الحديث لا يخلو رغم الانكسارات من انتصارات في شهر البطولات، فحرب العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣ هـ كانت درسًا لا ينسى في تاريخ التضحية والفداء والجهاد في سبيل الله، حيث انتصر المصريون الصابرون الصائمون على شراذم الخلق وأعداء الدين الحق.

وما أحرانا اليوم أن ننتظر مع شهر الصبر بشارات النصر ومع إفطارات الأيام الرفعة والعزة بين الأنام.

فاللهم انصر أهلنا في الشام على النصيرية والرافضة اللئام، وحرر بنا المسجد الأقصى وارزقنا شهادة ترضيك وترضى بها عنا في شهر الصوم والصبر والنصر برحمتك يا أرحم الراحمين والحمد لله رب العالمين.

فتاوى

إعداد/ اللجنة العلمية

س: ما حكم الذي لا يصوم في أول رؤية هلال رمضان إذا رؤي حتى يرى بنفسه ويستدل بالحديث القائل: «صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته» وهل صحيح استدلالهم بهذا الحديث؟

الجواب: الواجب الصيام إذا ثبتت رؤية الهلال ولو بواحد عدل من المسلمين، كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالصيام عندما شهد الأعرابي برؤيته الهلال وأما الاستدلال بحديث صوموا لرؤيته على أن كل فرد لا يصوم إلا برؤيته بنفسه فغير صحيح؛ لأن الحديث خطاب عام بالصيام عند تحقق الرؤية ولو من واحد عدل من المسلمين.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، فتوى رقم (٧٧٥٣).

س: حكم من احتلم في نهار رمضان؟

الجواب: الاحتلام لا يبطل الصوم لأنه ليس باختيار الصائم وعليه أن يغتسل غسل الجنابة ؛ إذا رأى الماء؛ وهو المني.. [ابن باز: فتاوى رمضان]

س: حكم من أجبر زوجته على الفطر وذلك بمجامعتها

الجواب: إذا أجبر الرجل زوجته على الجماع وهما صائمان، فصوم المرأة صحيح وليس عليها كفارة، أما الرجل فعليه كفارة للجماع الذي حصل منه، إن كان ذلك في نهار رمضان، وهي عتق رقبة، فإذا لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا لحديث أبي هريرة الثابت في الصحيحين، وعليه القضاء. [فتاوى الصيام لابن عثيمين، ص٥٠].

«أما إذا وافقته زوجته فعليها مثل ما عليه». اللجنة العلمية

س: هل يضع الصائم طيبا، وهل يجوز له التسوك بالنهار، وهل تضع المرأة حناء أو تدهن شعرها لتمتشط به؟

الجواب: له أن يضع طيبا في ثوبه أو ما يلبسه على رأسه أو في بدنه إلا أنه لا يتسعطه في أنفه(أي يضعه في أنفه ثم يجذبه للداخل عن طريق الأنف)، وله أن يتسوك بالنهار لقوله صلى الله عليه وسلم: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة» (البخاري (٣٠٣/١)، وهذا يشمل صلاة الظهر والعصر في حق الصائم وغيره، ولا نعلم دليلا صحيحا يمنع من ذلك، وللمرأة أن تضع الحناء أو تدهن شعرها لتمتشط به؛ لأنه لا يؤثر على الصيام، وهكذا الرجل له أن يدهن بدواء أو غيره، وإن كان صائما. (اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء)

س: حكم من اخذ إبرة علاجية في نهار رمضان؟

الجواب: الإبر العلاجية قسمان:

١- ما يقصد بها التغذية والاستغناء عن الأكل والشرب (كالمحاليل) بها فتكون مفطرة .

٢- الإبر التي لا تغذي أي لا يستغنى بها عن الأكل والشرب فهذه لا تفطر.. كحقنة العروق والعضل) [مجموع فتاوى ابن عثيمين].

س: حكم بخاخات علاج الربو؟

الجواب: (علاج الربو على نوعين: النوع الأول: بخاخ غاز ليس فيه إلا هواء يفتح مسام الشرايين حتى يتنفس صاحب الربو بسهولة، فهذا لا يفطر ولا يفسد الصوم، وللصائم أن يستعمله وصومه صحيح. النوع الثاني: نوع من أنواع الحبوب، وهو عبارة عن كبسولة فيها دقيق، ولها آلة تضغط ثم تنفجر في نفس الفم، ويختلط هذا الدقيق بالريق، فهذا لا يجوز استعماله في الصيام الواجب ؛ لأنه إذا اختلط بالريق وصل إلى المعدة، وحينئذ يكون مفطراً، فإن كان الإنسان مضطراً إلى استعماله فإنه يفطر ويقضي بعد ذلك، فإن كان مضطراً إليه في



جميع الوقت فإنه يفطر ويُغذّي فيطعم عن كل يوم مسكيناً، فيكون كالشيخ الكبير، والمريض الذي لا يرجى برؤ مرضه) [مجموع فتاوى ابن عثيمين]

س: حكم أقراص الأزمة القلبية التي توضع تحت اللسان

الجواب: الأقراص التي توضع تحت اللسان لعلاج بعض الأزمات القلبية، وهي تمتص مباشرة بعد وضعها بوقت قصير، ويحملها الدم إلى القلب فتوقف أزماته المفاجئة، ولا يدخل إلى الجوف شيء من هذه الأقراص لا تفطر[مجلة مجمع الفقه التابعة لرابطة العالم الاسلامي، العدد ١٠، ج٢ ص ٩٦]

س: حكم منظار المعدة؟

الجواب: (الصحيح أنه لا يفطر إلا أن يكون في هذا المنظار دهن يصل إلى المعدة بواسطة هذا المنظار، فإنه يكون بذلك مفطراً ولا يجوز استعماله في الصوم الواجب إلا للضرورة)[ابن عثيمين - الشرح الممتع]

س: حكم قطرة الأنف ؟

الجواب: القطرة في الأنف تفطر الصائم إذا استعط بها باختياره، ووصلت إلى المعدة ؛ لأن الأنف من المداخل التي تنفذ إلى المعدة لقوله صلى الله عليه وسلم: «وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائماً». [انظر: مفطرات الصيام المعاصرة].

[أما مجرد وضعها في الأنف فلا تفطر]. (اللجنة العلمية).

س: حكم جهاز الأكسيجين الذي يوضع عليه مريض الجهاز التنفسي وهو صائم؟

الجواب: غاز الأكسجين.. يذهب معظمه إلى الجهاز التنفسي فلا يعتبر مفطراً. [انظر: المفطرات المعاصرة].

س: حكم التخدير للعمليات أثناء الصيام؟

الجواب: التخدير (البنج) وهو على نوعين: تخدير كلي، وتخدير موضعي، وقد يكون عن طريق الشم، وقد يكون عن طريق الإدخال الجاف [إدخال إبرة مصمتة جافة إلى مراكز الإحساس تحت الجلد]، وهو في الغالب تخدير موضعي لا يدخل شيء منه إلى البدن، [وهذا لا يؤثر على الصيام؛ لأن الشم لا يؤثر، وإدخال الإبرة الجافة كذلك] إلا أن يُغمى عليه ويستغرق النهار كاملاً، فحكمه حكم المغمى عليه. [مجموع فتاوى ابن باز]

س:حكم استعمال قطرة العين والأذن أثناء الصيام؟

الجواب: قطرة الأذن، وغسول الأذن، قطرة العين، والكحل، و الدهانات والمراهم، واللصقات العلاجية، لا تفطر. [مجموع فتاوى ابن باز]

س: حكم غسيل الكلى؟

الجواب: (.. غسيل الكلى عبارةعن إخراج دم المريض إلى آلة (كلية صناعية) تتولى تنقيته ثم إعادته إلى الجسم بعد ذلك، و..يتم إضافة بعض الموادالكيماوية والغذائية كالسكريات والأملاح وغيرهاإلى الدم..وبعد دراسة اللجنة للاستفتاء والوقوف على حقيقة الغسيل الكلوي بواسطة أهل الخبرة أفتت اللجنة بأن الغسيل المذكور للكلى يفسد الصيام). [فتاوى اللجنة الدائمة: فتوى:٩٩٤٤]

س: حكم استعمال التحاميل أثناء الصيام؟

الجواب: لا بأس أن يستعمل الصائم التحاميل التي تجعل في الدبر، لأن هذا ليس أكلاً ولا شرباً، ولا بمعنى الأكل والشرب، والشارع إنما حرم علينا الأكل أو الشرب، فما كان قائماً مقام الأكل والشرب أعطي حكم الأكل والشرب، وما ليس كذلك فإنه لا يدخل في الأكل والشرب لفظاً ولا معنى، فلا يثبت له حكم الأكل والشرب، والله أعلم. [مجموع فتاوى ابن عثيمين]

س: حكم التطعيم أثناء الصيام ضد بعض الأمراض كالتيفود وما شابهها ؟

الجواب: التطعيم بالطعم ضد الجدري والكوليرا والتيفود لا يفطر الصائم. [عبد المجيد سليم: علماء الأزهر الشريف]

س: حكم القيء أثناء الصيام ؟

الجواب: مَن تعمد القيء فسد صومه لقول النبي صلى الله عليه وسلم: « من ذَرَعه القيء فلا قضاء عليه، ومن استقاء فعليه القضاء» [مجموع فتاوى ابن باز]

- (وهنا مسألة: لو أن إنسانا أحس بالقيء هل يجب عليه أن يمنعه؟ الجواب لا يجب، كما لو فكر وأحس بانتقال المني فإنه لا يلزمه أن يحجزه لما في ذلك من الضرر ولأنه لم يتعمد.

مسألة أخرى: لو أنه أحس بهيجان المعدة ثم استقاء أيفطر أم لا؟ يفطر لأنه تعمد القيء، والمعدة قد تهيج أحيانا ويتهيأ الإنسان للقيء ولكن تسكن ولا يحصل شيء). [ابن عثيمين - شرح حقيقة الصيام لابن تيمية]

س: حكم خروج الدم من الصائم؟

الجواب: (لا يفسد الصوم بقلع الضرس ولو خرج الدم بفعله (لا يبلع الدم) و أخذ الدم للتحليل و البنج لا يفطر)[مجموع فتاوى ابن عثيمين]



- (كذلك ما قد يعرض للصائم من جراح أو رعاف أو قيء أو ذهاب الماء أو البنزين إلى حلقه بغير اختياره، فكل هذه الأمور لا تفسد الصوم) [مجموع فتاوى ابن باز]

س: حكم من أكل أو شرب ناسيًا؟

الجواب: (المفطرات التي تفطر الصائم، لا تفطره في ثلاث حالات:

١- إذا كان ناسياً .

٢- إذا كان جاهلاً.

٣- وإذا كان غير قاصد.

فإذا نسي فأكل أو شرب فصومه تام لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «من نسي وهو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه».

وإذا أكل أو شرب يظن أن الفجر لم يطلع أو يظن أن الشمس قد غربت ثم تبين أن الأمر خلاف ظنه فإن صومه صحيح لحديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنه قالت: «أفطرنا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم في يوم غيم ثم طلعت الشمس، ولم يأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالقضاء».

ولو كان القضاء واجباً لأمرهم به ولو أمرهم به، لنقل إلينا لأنه إذا أمرهم به صار من شريعة الله، وشريعة الله لابد أن تكون محفوظة بالغة إلى يوم القيامة.

وكذلك إذا لم يقصد فعل ما يفطر فإنه لا يفطر، كما لو تمضمض فنزل الماء إلى جوفه فإنه لا يفطر بذلك لأنه غير قاصد، وكما لو احتلم وهو صائم فأنزل فإنه لا يفسد صومه لأنه نائم غير قاصد، ومن تطاير إلى حلقه شيء من جراء طحن الحبوب فإن ذلك لا يجرح صومه، وصومه صحيح؛ لأن تطاير هذه الأمور بغير اختياره، وليس له قصد في وصولها إلى جوفه) [مجموع فتاوى ابن عثيمين]

س: حكم من رأى صائما يأكل أو يشرب في نهار رمضان؟

الجواب: من رأى صائماً يأكل أو يشرب في نهار رمضان فإنه يجب عليه أن يذكره لقوله صلى الله عليه وسلم حين سها في صلاته: «فإذا نسيت فذكروني»، والإنسان الناسي معذور لنسيانه، لأن الإنسان الذاكر الذي يعلم أن هذا الفعل مبطل لصومه ولم يدله عليه يكون مقصراً لأن هذا أخوه فيجب أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه.[مجموع فتاوى ابن عثيمين].

س: حد المرض المبيح للفطر ؟

الجواب: والمرض المبيح للفطر عند جمهور السلف والأئمة هو ما يؤدى الصوم معه إلى ضرر فى النفس أو زيادة فى العلة أو ابطاء فى البرء وانما أبيح الفطر للمرض دفعا للحرج والمشقة وقد بنى التشريع الإسلامى على التيسير والتخفيف. [حسنين محمد مخلوف – فتاوى علماء الأزهر]

س: حكم استعمال حبوب منع الحمل لتأخير الحيض ؟

الجواب: لا حرج في ذلك استعمال حبوب منع الحمل لتأخير الحيض ؛ لما فيه من المصلحة للمرأة في صومها مع الناس وعدم القضاء، مع مراعاة عدم الضرر منها ؛ لأن بعض النساء تضرهن الحبوب. [مجموع فتاوى بن باز]

س: حكم صيام المرأة إذا طهرت المرأة بعد الفجر مباشرة ؟

الجواب: إذا طهرت المرأة بعد طلوع الفجر فللعلماء في إمساكها ذلك اليوم قولان.... القول الأول: أنه يلزمها الإمساك بقية ذلك اليوم، ولكنه لا يحسب لها، بل يجب عليها القضاء، وهذا هو المشهور من مذهب الإمام أحمد رحمه الله.

والقول الثاني: إنه لا يلزمها أن تمسك بقية ذلك اليوم، لأنه يوم لا يصح صومها فيه لكونها في أوله حائضة ليست من أهل الصيام، وإذا لم يصح لم يبق للإمساك فائدة، وهذا الزمن زمن غير محترم بالنسبة لها، لأنها مأمورة بفطره في أول النهار، بل محرم عليها صومه في أول النهار، والصوم الشرعي كما نعلم جميعا هو: الإمساك عن المفطرات تعبدا لله عز وجل من طلوع الفجر إلى غروب الشمس وهذا القول كما نراه أرجح من القول بلزوم الإمساك، وكلا القولين يلزمها قضاء هذا اليوم. (٥٢ سؤالا عن أحكام الحيض للشيخ ابن عثيمين ص ٩، ١٠)

س: حكم صيام المرأة إذا جاءها الحيض عند غروب الشمس وقبل الأذان بفترة قصيرة



الجواب: إذا كان الحيض أتاها قبل الغروب بطل الصيام وتقضيه، وإن كان بعد الغروب فالصيام صحيح ولا قضاء عليها. (فتاوى اللجنة الدائمة جـ ١٠ ص ١٥٥ فتوى رقم ١٠٣٤٣)

س: حكم صيام المرأة إذا أحست بالدم ولم يخرج قبل الغروب أو أحست بألم العادة هل يصح صيامها ذلك اليوم أو عليها قضاؤه؟

الجواب: إذا أحست المرأة الطاهرة

بانتقال الحيض وهي صائمة، ولكنه لم يخرج إلا بعد غروب الشمس أو أحست بألم الحيض، ولكنه لم يخرج إلا بعد غروب الشمس، فإن صومها ذلك اليوم صحيح وليس عليها إعادته إذا كان فرضا، ولا يبطل الثواب به إذا كان نفلا. (٥٢ سؤالا عن أحكام الحيض للشيخ ابن عثيمين ص ١١،١٢)

س: عادتي الشهرية تتراوح ما بين سبعة إلى ثمانية أيام وفي بعض الأحيان في اليوم السابع لا أرى دماً ولا أرى الطهر فما الحكم من حيث الصلاة والصيام والجماع؟

الجواب: لا تعجلي حتى ترى القصة البيضاء التي يعرفها النساء وهيَ علامة الطهر، فتوقف الدم ليس هو الطهر وإنما ذلك برؤية علامة الطهر وانقضاء المدة المعتادة. [الشيخ ابن باز]

س: حكم الدم الذي ينزل من الحامل؟

الجواب: (الحامل لا يضرها ما نزل منها من دم أو صفرة، لأنه ليس بحيض ولا نفاس، إلا إذا كان عند الولادة أو قبلها بيوم أو يومين مع الطلق، فإنه إذا نزل منها دم في هذه الحال صار نفاسا، وكذلك في أوائل الحمل فإن بعض النساء لا تتأثر عادتهن في أول الحمل فتستمر على طبيعتها وعادتها، فهذه يكون دمها دم حيض). [مجموع فتاوى ابن عثيمين].

س: شخص يعمل في فرن للرغيف و يواجه حر النار الشديد طوال ساعات النهار وهو صائم، لذلك فهو يواجه عطشا شديدا وإرهاقا في العمل؟

الجواب: (لا يجوز لذلك الرجل أن يفطر بل الواجب عليه الصيام، وكونه يخبز في نهار رمضان ليس عذرا للفطر، وعليه أن يعمل حسب استطاعته). [فتاوى اللجنة الدائمة - فتوى: ١٣٤٨٩]

س: حكم الإفطار للطالب أثناء الامتحان؟

الجواب: الامتحان المدرسي ونحوه لا يعتبر عذرا مبيحا للإفطار في نهار رمضان، ولا يجوز طاعة الوالدين في الإفطار للامتحان؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وإنما الطاعة بالمعروف،كما جاء بذلك الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم) [فتاوى اللجنة الدائمة: فتوى:٩٦٠١]

س: حكم من يملك مطعما يقدم طعاما في نهار رمضان؟

الجواب: (أما الذى يملك مطعما يتناول فيه الناس غذاءهم، أو مقهى تتناول فيه المشروبات، فإن كان ذلك التناول فى نهار رمضان، وتأكد أن متناوله مفطر لا عذر له فى الإفطار كانت مساعدته علىَ ذلك محرمة، وإذا كانت معرفة المعذور وغير المعذور متعسرة فى المجتمع الكبير الذى يجمع أخلاطا متنوعة قد تنتحل فيه الأعذار فالأفضل عدم القيام بهذا العمل نهارا، إن الأمر يحتاج إلى مراقبة الضمير، وإلى يقظة المسئولين وتعاون الجميع على مقاومة المنكر والتمكين للخير والمعروف، وبخاصة فى هذا الشهر المبارك العظيم)[عطية صقر - فتاوى علماء الأزهر]

س: حكم صيام الست من شوال؟

الجواب: صيام ست من شوال سنة ثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجوز صيامها متتابعة ومتفرقة ؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أطلق صيامها ولم يذكر تتابعاً ولا تفريقاً، حيث قال صلى الله عليه وسلم: « من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر » صحيح مسلم) [مجموع فتاوى بن باز]

س: على من تجب زكاة الفطر ووقتها؟

الجواب: زكاة الفطر فرض على كل مسلم، صغير أو كبير، ذكر أو أنثى، حر أو عبد ؛ لما ثبت عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: « فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر صاعاً من تمر، أو صاعاً من شعير، على الذكر والأنثى، والصغير والكبير، والحر والعبد من المسلمين، وأمر أن تؤدى قبل خروج الناس للصلاة «. متفق على صحته. وليس لها نصاب، بل يجب على المسلم إخراجها عن نفسه وأهل بيته من أولاده وزوجاته ومماليكه إذا فضلت عن قوته وقوتهم يومه وليلته.أما الخادم المستأجر فزكاته على نفسه، إلا أن يتبرع بها المستأجر أو تشترط عليه، أما الخادم المملوك فزكاته على سيده، كما تقدم في الحديث. [مجموع فتاوي ابن باز]

- ووقت زكاة الفطر يبدأ من غروب شمس آخر يوم من رمضان، وهو أول ليلة من شهر شوال، وينتهي بصلاة العيد ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بإخراجها قبل الصلاة، ولما رواه ابن عباس - رضي الله عنهما- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات » ويجوز إخراجها قبل ذلك بيوم أو يومين لما رواه بن عمر - رضي الله عنهما - قال: (فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة الفطر من رمضان..). وقال في آخره (وكانوا يعطون قبل ذلك بيوم أو يومين). فمن أخرها عن وقتها فقد أثم وعليه أن يتوب من تأخيره، وأن يخرجها للفقراء). [فتاوى اللجنة الدائمة - فتوى:٢٨٩٦].



سارع أخي المسلم وأختي المسلمة

بالمشاركة بجزء من مالك ومن الزكوات أو الصدقات لنشر التوحيد من خلال المشاركة في الأعمال التالية:

طباعة كتيب يوزع مع مجلة التوحيد مجانا تتكلف النسخة خمسة وسبعين قرشاً .. يطبع من كل كتيب مائة وخمسون ألف نسخة.

نشر تراث الجماعة من خلال طبع المجلة وتجليد أعداد السنة في مجلد واحد وذلك لعمل كرتونة كاملة ٣٨ سنة من المجلة.

دعم مشروع المليون نسخة من مجلة التوحيد - نسخة من المجلة لكل خطيب من خطباء الأوقاف والأزهر تصله على عنوانه.

نحن بانتظاركم .. يمكنكم المشاركة ودعم ذلك بعمل حوالة أو شيك مصرفي على بنك فيصل الإسلامي.

.. فرع القاهرة حساب رقم ١٩١٥٩٠ باسم مجلة التوحيد.

مفاجأة سارة

الآن



موسوعة التوحيد

ببلاش

- بشرى سارة لإدارات الدعوة في فروع أنصار السنة بأنحاء الجمهورية.
- الموسوعة العلمية والمكتبة الإسلامية في شتى العلوم ، أربعون عاماً من مجلة التوحيد.
- أكثر من ٨٠٠٠ بحث في كل العلوم الشرعية من مجلدات مجلة التوحيد.
- استلم الموسوعة ببلاش بدون مُقدَّم ؛ فقط ادفع ٧٥ جنيهاً بعد الاستلام على عشرة أشهر.
- من يرغب في اقتنائها فعليه التقدم بطلب للحصول عليها من إدارة الدعوة بالفرع التابع له أو من خلال قسم الاشتراكات بمجلة التوحيد بطلب مُزَكًّى من الفرع.
- علماً بأن نموذج طلب الشراء والإقرار المرفق به من قبل الفرع موجود على موقع أنصار السنة وصفحة الفيسبوك الخاصة بكل من رئيس التحرير و صفحة مجلة التوحيد.
- هدية لكل من يرغب في اقتناء كرتونة المجلدات عبارة عن فهرس عام للمجلة وفهرس موضوعي يسلم بعد طبعه للفروع والمشتركين.

ومفاجأة أخرى
المجلد الجديد لعام ١٤٣٣ هـ
موجود الآن؛ سارع بالحصول عليه بـ ٢٥ جنيها فقط



23936517